الفصل السادس

قتله ونتائجه

١ – بنو أمية وَقَتْلُه

كثر الأمراء الأمويون فى الفترة الأخيرة من دولتهم ، وكان أغلبهم من ذرية عبد الملك ، وعبد العزيز ، ومحمد بن مروان بن الحكم ، وأقلهم من حفدة يزيد بن معاوية بن أبى سفيان .

ويستفاد من أخبارهم أنهم كانوا طائفتين ، فعظم الأمراء الصغار من أولاد الوليد ، وهشام ، والحجاج بن عبد الملك بن مروان ، ومن أبناء عمر بن عبد العزيز كانوا عصبة واحدة على الوليد ، جمع بينهم التَّذَمُّر منه ، والمنافسة له ، والطمع فى عزله . وزاد من بَرَمِهم به أنه أهان الذين تَحَزَّبوا عليه منهم فى أثناء ولايته للعهد ، وأيدوا هشاماً فى خلعه .

وكان يزيد بن الوليد بن عبد الملك أدْهَى خصوم الوليد ، وأشدهم طعناً فيه ، وأكثرهم تحريضاً عليه[١] ، وأقواهم عزماً على الإطاحة به . وآزَرَ يزيدَ إخوتُه بسر[٢] ، ومسرور[٣] ، وعمر[٤] ، وروح[٥] ، وإبراهيم[٦] .

وكان سعيد بن هشام بن عبد الملك يكره الوليد[٧] ، وكان سليمان[٨] ويزيد[٩] ابنا هشام ابن عبد الملك يمقتان الوليد ، ويذمانه ، ويحضان على قتله ، فحبسهما الوليد بعد أن استخلف . وسخط على الوليد أبان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك[١٠] ، وكان يبغض الوليد ، وينازعه فى

---

(١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٧ ، ٣٣٨ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٢ ، والأغانى ٧ : ٧٣ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٠ .

(٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٩ ، والأغانى ٧ : ٧٥ .

(٣) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٦٤ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٦٣ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٩٣ .

(٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٤٣ ، ٣١١ ، ٣١٣ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٤٩٦ ، ٧ : ٢٣٢ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٠ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٨ .

(٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٢٩ ، ٢٨٠ ، ٣٢٦ .

(٦) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٦٤ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٩٩ .

(٧) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ١٧٨

(٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٨ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٢٨٦ .

(٩) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٦٩ .

(١٠) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ١٣٣ .

الخلافة . وكان عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك يُعَادى الوليد ، ويَعِيبُه ، ويفاخره ويغالبه على الخلافة[١١] .

وكان عاصم وعبد الله ابنا عمر بن عبد العزيز يُنَاوِئان الوليد ، ويستخفان به[١٢] ، ويدل ما رواه ابن عساكر من شعر عاصم على أنه كان يَلُومُ المتقاعسين القاعدين عن مناهضة الوليد ، ويستفزهم للوثوب به ، ويذكى حماستهم بتذكيره لهم بما يصبه الوليد عليهم من ألوان العذاب ، إذ يقول[١٣] :

يَسُومُكُمُ الوليدُ الخَسْفَ يَعْدُو ... عليكمْ ما لكمْ منه إباءُ[١٤]
فإنْ كُنْتُمْ كما قُلْتُمْ رِجالاً ... ففى عَمَلِ الرِّجالِ يُرَى الغَنَاء
وإلاَّ فَاصْمتُوا عَن ذى وقُومُوا ... لِتَخْلُفَ فى مكانكمُ النِّساءُ

ونقم على الوليد أخوه سليمان بن يزيد بن عبد الملك ، فكان يُشَنِّع عليه ، ويَحُضُّ على الثورة به[١٥] .

وأما الأمراء الأمويون الكبار من أبناء عبد الملك بن مروان وحفدته ، ومن أبناء أخيه محمد ابن مروان بن الحكم ، ومن حفدة يزيد بن معاوية بن أبى سفيان فكانوا أرجح عقلاً من الأمراء الصغار المَوْتُورين المتَهَوِّرين ، وأكثر اعتدالاً ، وأوسع أفقاً ، وأحسن وَعْياً لما ينفع وما يَضُرُّ ، فسالموا الوليد وصانعوه ، وأيدوه ، وحاولوا كبح جماح الأمراء الصغار .

وأشهر الأمراء الأمويين الكبار هو العباس بن الوليد بن عبد الملك . وكانت له منزلة رفيعة فى قومه[١٦] . وكان أخوه يزيد ومن انضموا إليه من اليمنية يعرفون قَدْرَه وأهميته لنجاح الثورة على الوليد ، فحاولوا اجتذابه إليهم ، إذ يقول عمر بن يزيد الحكمى ليزيد بن الوليد وقد انْتَصَحَهُ فى الخروج على الوليد : « إن العباس بن الوليد أخاك سَيِّدُ أهل بيتك ، فإنْ بايَعَك لم يُخَالِفْكَ الناسُ ، وإنْ أَبَى فالناسُ له أَطْوَعُ ، وإنْ أَبَيْتَ مُشَاوَرَتَهُ فَأَظْهِرْ بَيْعَته لك »[١٧] . فأفضى يزيد إليه بأَمْرِه وخُطَّته

(١١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٧ .

(١٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ١٢٦ .

(١٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ١٢٦ .

(١٤) الخسف : الهوان .

(١٥) عيون الأخبار ٢ : ٤٢ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٢٩ ، ٣٣٤ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٥١ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ ، الورقة : ١٩ ظ ، وسير أعلام النبلاء ، مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق رقم ٢٠٩ ، المجلد الخامس ، الورقة : ١١٢ و ، والبداية والنهاية ١٠ : ٧ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥١ ، وخزانة الأدب ١ : ٣٢٩ .

(١٦) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٧٠ .

(١٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٨ ، وانظر تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٧ .

وغايته ، فزَجَره العبَّاسُ وخوَّفَه[١٨] فرجع يزيد إلى منزله بالبادية ، ودَبَّ فى الناس ، فبايعوه سراً ، ثم عاود أخاه العباس ومعه قطن مولاهم ، فشاوره وأعلمه أن قوماً يأتونه يريدونه على البيعة ، فزَبَرَهُ العباس ، وقال : انْ عُدْتَ إلى مثلها لأَشُدَّنَّكَ وِثاقاً ، ولأَحْمِلَنَّك إلى أمير المؤمنين[١٩].

ولم يزل العباس يعارض أخاه يزيد ويُهَدِّده ، ولا يألو جهداً فى إرشاده ، واستصلاح سائر إخوته ، حتى يَرْأَبَ الصَّدْعَ بينهم وبين الوليد ، ويَمْنَعَهُ من التنكيل بهم إذا نُمِيَ إليه أنهم يأْتَمِرُون به ، ويُدَبِّرُون للانقضاض عليه ، حرصاً على وحدة بنى أمية ومصلحتهم ، وحماية لسلطانهم ودولتهم ، مما يدل عليه قوله لقطن مولاهم ، وقد استدعاه العباس ليعرف منه نوايا يزيد وأهدافه التى أخذ يُخْفيها عنه بعد أنْ كَفَّه وتَوعَّده : «ويحك ! أترى يزيد جَاداً ؟ قال : جعلت فداك ، ما أظن ذلك ، ولكنه دخله مما صنع الوليد بن يزيد ببنى الوليد بن عبد الملك وبنى هشام ، وما يسمع من الناس من ذكر استخفاف الوليد وتهاونه بالأمور ، ما ضاق به ذرعاً . قال : أما والله إنى لأظنه أشأم سخلة من بنى مروان ، ولولا ما أخاف من عجلة الوليد ، مع تحامله علينا لشددته وثاقاً ، وحملته إليه . فازجره عن أمره ، فإنه يسمع منك»[٢٠]، ومما يتضح فى قصيدة له تَمَثَّل بعد أن أتاه أخوه بشر ، وكلمه فى خلع الوليد ، وبيعة يزيد ، فنهاه وقال : « يا بنى مروان ، إنى أظن أن الله قد أذن فى هلاككم»[٢١] ، فهو يحذر فيها قومه من الفتنة ، ويسألهم أن يتوادعوا ويتضامنوا ، ويتأسوا بالأمويين الأوائل أهل الصرامة والبأس والتقوى ، الذين صانوا دينهم ودنياهم ، فانقادت الأمة لهم ، ورَسَّخوا أركان دولتهم بعزمهم الشديد ، ونضالهم العنيد ، وخلقهم النبيل ، حتى يحافظوا على عزتهم وكرامتهم ، ولا يطمعوا أعداءهم فى ملكهم ، منذراً لهم بالدمار والانهيار إذا استمروا متدابرين متناحرين ، فإنه لا تَصْلُحُ رَعِيَّة إلا إذا صَلُحَ القَوَّامون عليها ،يقول[٢٢] :

---

(١٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٨ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٧ ، وتاريخ دمشق ، مصورة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٢ و ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٣ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٩ .

(١٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٨ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٧ .

(٢٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص :٣٢٨ ، وانظر تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٧ ، والأغانى ٧ : ٧٣ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٣ .

(٢١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٩ ، والأغانى ٧ : ٧٥ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٤ .

(٢٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٢٧٠ ، وانظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ، ص : ٣٢٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٩ ، والأغانى ٧ : ٧٥ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٤ .

يا قَوْمَنا لا تَملوا نِعْمةً لكُمُ ... إنَّ الإلَه لكم فيما مَضَى صَنَعُ[٢٣]
فأنتمُ اليومَ أهلُ المُلكُ مذْحِقبٍ ... وأهلُ دُنيا ودِينٍ ما بِهِ طَمَعُ
فانفُوا عَدُوَّكُم عَنْ نَحْتِ أَثْلَتِكُمْ ... واستَجْمِعُوا إنَّ أَمْرَ الدِّينِ مُجْتَمِعُ[٢٤]
قُومُوا عليهِ كما قامَ الأُولى نَصَروا ... حتَّى تَوَلَّوْا وما خَافُوا وما جَزِعُوا
إنَّ الكبيرَ عليكمْ فى وِلاَيَتِكُمْ ... أنْ تُصْبِحُوا وعمودُ الدِّينِ مُنْصَدِعُ
لا تُلْحِمُنَّ ذئابَ الناس أنفسكُمْ ... إنَّ الذئاب إذا ما أُلْحِمَتْ رَتَعُوا[٢٥]
لا تَبقُرُنَّ بأيديكمْ بُطونكُمُ ... فَثَمَّ لا حسرةٌ تُغْنى ولا جَزَعُ
إنِّى أُعِيذكُم باللهِ مَنْ فِتَنٍ ... مثل الجبالِ تَسَامَى ثمَّ تَنْدَفِعُ
لستُمْ كمن كانَ قبل اليوم يسْعرها ... بالمَشْرَفِيَّةِ بِيضاً حين تُنْتَزَعُ
والسَّمْهَرِيَّة مَطْرُورٍ أَسِنَّتُها ... وحَوْمَةُ الْمَوْتِ تَغْلى وِرْدُهَا شَرَعُ[٢٦]
إنَّ البَريةَ قدْ مَلَّتْ وِلاَيَتكُمْ ... فاستَمْسكُوا بِعَمُودِ الدِّينِ وارْتَدِعُوا
فَلَنْ تَزالوا رءوسَ الناسِ ما صَلَحُوا ... وما شكَرْتُمْ وأضحَى العَهدُ يُتَّبَعُ

وظل العباس يَنِى للوليد حتى النهاية ، فإنه عندما علم أن أخاه يزيد أعلن الثورة ، وبدأ الكفاح المسلح للقضاء على الوليد ، انحرف عن أخيه ، ومال إلى الوليد ، وخَفَّ لنصرته[٢٧] .

وكانُ مُبَشِّر[٢٨] بن الوليد بن عبد الملك ، عالمُ بنى مروان ، يرى رأْىَ أخيه العباس ، ويرفض الوثوب بالوليد ، يستنتج ذلك من مقطوعة لمبشر يأخذ فيها على بنى أمية خيانتهم للوليد ، واغتيالهم له ، إذ يقول[٢٩] :

عَـجَبٌ لا يَـنْـقَضى ... عَـجَبٌ قَتْلُ الوليدِ
أَسْلَمَتْهُ عبدُ شَمْسٍ ... والبقايا مِنْ ثَمودِ

---

(٢٣) الصنع : الحاذق الماهر ، ولعله يريد أن الله أكرمهم فى الماضى .

(٢٤) نحت : نشر أو قطع . والأثلة من كل شىء : أصله . ويقال : فلان ينحت أثلتنا : إذا قال فى حسبه قبيحاً .

(٢٥) ألحم : أطعم اللحم . رتع : نَعِمَ وَلَهَا .

(٢٦) السمهرية : جمع سمهرى ، وهو الرمح الصليب العود ، ينسب إلى رجل اسمه سمهر كان يبيع الرماح بالخط . المطرورة : المُحَدَّدَة المسنونة . شرع : مفتوحة مبذولة .

(٢٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٢ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٤ .

(٢٨) سماه ابن عساكر بشراً . (أنظر تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ٢٥٤) . والصحيح أنه مبشر . (أنظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٠٥ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٤٩٦ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٨٩)

(٢٩) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ٢٥٤ .

قالَ يومَ الدَّارِ لمَّا مَسَّهُ حَدُّ الحَدِيدِ
اتَّقُوا اللهَ وكُفُّوا عَنْ عُقودى وعُهودى

ومروان بن محمد بن مروان بن الحكم ، وسعيد بن عبد الملك بن مروان من الأمراء الكبار الذين كانوا ينكرون الوثوب بالوليد ، ويسعون إلى رَدْعِ الأمراء الصغار المتذمرين المتسرعين ، ورتق الفتق بينهم وبين الوليد ، حفاظاً على الخلافة الأموية ، وخوفاً من زوالها . وكان مروان أكبر مؤيدى الوليد ، ولكنه كان بعيداً بأرمينية ، أما سعيد فكان عاب الوليد ، ووافق هشاماً على خلعه[٣٠] ، ثم كف عن مناوأة الوليد ، واعتذر إليه ، فولاه فلسطين[٣١] . ويظهر أن مروان وسعيداً لم يعرفا أن يزيد ابن الوليد يدعو لنفسه ، ويتربص بالوليد إلاَّ فى وقت متأخر . وبلغَ مروانَ ذلك قبل سعيد ، فاستْفظعه ، وكتب إلى سعيد يحثه على تدارك الفتنة قبل وقوعها ، إذ يقول فى كتابه له : «إن الله جعل لكل أهل بيتٍ أركاناً يعتمدون عليها . وَيتَّقُون بها المخاوف ، وأنت بحمد ربك ركن من أركان أهل بيتك ، وقد بلغنى أنَّ قوماً من سفهاء أهل بيتك قد استَنُّوا – إنْ تمتْ لهم رَوِيَّتُهم فيه على ما أجمعوا عليه من نقضِ بَيْعَتهم – استفتحوا باباً لن يُغْلقه الله عنهم حتى تسفك دماء كثيرة منهم ، وأنا مُشْتَغِلٌ بأعظم ثغور الإسلام فَرْجاً[٣٢] ، ولو جمعتنى وإياهم لَرَمَمْتُ فسادَ أمرهم بيدى ولسانى ، ولخفت الله فى ترك ذلك ، لِعِلْمى ما فى عواقب الفرقة من فساد الدين والدنيا ، وأنه لن يَنْتَقِلَ سُلْطانُ قومٍ قَطُّ[٣٣] إلا بتشتيت كلمتهم ، وإن كلمتهم إذا تَشَتَّتَتْ طمع فيهم عدوهم . وأنت أقرب إليهم منى ، فاحْتَلْ لِعِلْم ذلك ، وإظهار المُتَابعةِ لهم ، فإذا صرت إلى علم ذلك ، فَتَهَدَّدْهُمْ بإظهار أسرارهم ، وخُذْهُمْ بلسانك ، وخَوِّفْهُم العواقب ، لعل الله أن يرد إليهم ما غَرَب عنهم من دينهم وعقولهم ، فإن فيما سعوا فيه تغيِيرَ[٣٤] النعم ، وذهاب الدولة . فَعَاجِل الأمر ، وحَبْلُ الألفة مشدود ، والناس سُكُون ، والثغور محفوظة ، فإن للجماعة دَوْلةً من الفرقة ، وللسَّعةِ دافعاً من الفقر . . . وقد امْتَدَّت بنا أهلَ البيت مُتَتَابعات من النعم قد يَعِيبُها جميع الأمم ، وأعداء النعم ، وأهل الحسد لأهلها ، وبحسد إبليس خرج آدم من الجنة . وقد أمّل القوم فى الفتنة أملاً ، لعل أنفسهم تهلك دون

---

(٣٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٤٥ .

(٣١) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٦٦ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ١٥٦ .

(٣٢) الفرج : الثغر المخوف .

(٣٣) كان يجب أن يستعمل أبداً ، لأنها ظرف يستغرق المستقبل من الزمان . أما قط فهى ظرف يستغرق ما مضى من الزمان .

(٣٤) فى تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٨ «تَغَيُّر» ، والصواب تغيير ، كما جاء فى أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية المجلد الثانى ص : ٣٢٨ .

ما أمَّلوا ، ولكل أهل بيت مشائيم يُغَيِّرُ الله النعمة بهم ، فأعاذك الله من ذلك ، فاجعلنى من أمرهم على علم »[٣٥] .

فأعظم سعيد ذلك ، وبعث بكتابه إلى العباس بن الوليد ، فَدَعَا يزيد ، فَعَذَلَهُ وتَهَدَّده ، فَحذَّره يزيد وقال : يا أخى ، أخاف أن يكون بعضُ من حَسَدنا هذه النعمةَ مِنْ عَدُوِّنا أرادَ أنْ يُغْرِىَ بيننا ، وحَلَفَ له أنه لم يَفْعَلْ ، فَصَدَّقَه[٣٦] !

وكان يَتَشَيَّع للوليد من الأمراء الأمويين الكبار محمد بن عبد الملك بن مروان[٣٧] ، ويزيد بن سليمان بن عبد الملك[٣٨] .

ووالى الوليد أكثر الأمراء السفيانيين ، لما كان يربط بينهم وبينه من أواصر القربى ووشائج الصِّهْر فَقدمهم الوليد وَبرهم واعتمد عليهم ، فكان زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية المعروف بأبى محمد السفيانى[٣٩] من خاصة الوليد ، وكان معه بالأزرق من بادية الأردن عندما خرج عليه يزيد ابن الوليد ، فأرسله الوليد لتطويق المتمردين عليه بدمشق ، فأسروه على مشارفها ، وأجبروه على المبايعة ليزيد بن الوليد[٤٠] . وكان أخوه حرب بن عبد الله بن يزيد بن معاوية من أنصار الوليد ، بل من أشدهم حماسةً له ، ومحاماةً عنه ، وقد غضب لسفك دمه ، فسار فى جند أهل حمص ، للأخذ بثأره فقتل بنواحى دمشق[٤١] ، وساند الوليد ابنا عمها يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية[٤٢] ، والوليد بن خالد بن يزيد بن معاوية[٤٣] ، ومعاوية بن أبى سفيان بن يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية[٤٤] .

وواضح أن يزيد بن الوليد بن عبد الملك كان أقوى أعداء الوليد بن يزيد من الأمراء الأمويين

---

(٣٥) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٨ .

(٣٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٩ ، وانظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٩ .

(٣٧) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٦٦ . وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ١٠٣ .

(٣٨) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٦٦ .

(٣٩) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٤٠٣ .

(٤٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣١ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٣ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٢ و .

(٤١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ١٠٥ .

(٤٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣١ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٣ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٢ و ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٦ .

(٤٣) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٩ .

(٤٤) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٥٠ .

الصغار ، الذين لم تُحَنِّكْهم التجارب ، ولم يكونوا يستشرفون عواقب التَّباغُض والتَّطاحُن والتصارع على المُلك ، ولا كانوا يَكْتَرِثُون بتدهور الخلافة الأموية وسقوطها ، فَزَيَّن يزيد لأنداده من الأمراء الصغار الثورة على الوليد ، واستهواهم بآرائه الإصلاحية ، وماكان يظهر من النُّسك والورع والتواضع ، فاندفعوا إليه ، وآمنوا بآرائه ، وأيدوا خطته ومطامحه ، فعملوا للإدالة من الوليد ، إرضاء لغرورهم وكبريائهم ، أو بحثاً عن الوَجَاهة والنباهة ، أو انتقاماً من الوليد ، لأنه أهملهم وأبعدهم واستهان بهم .

أما الأمراء الأمويون الكبار الذين كانوا يفضلون منفعة بنى أمية على منافعهم الخاصة ، سواء كانت صلاتهم بالوليد حسنةً أو متوسطةً ، أو متذبذبةً ، فاحتالوا ما استطاعوا لِتبصير الأمراء الصغارِ بِخَطَرِ الإقدام على خلع الوليد ، وتَفَادى الانشقاق والصدام بين بنى أمية ، غير أنهم لم ينجحوا فى إزالة أسباب الفرقة ، واستئصال جذور الفتنة ، لعوامل مختلفة ، منها ما يعود إلى بُعْدِ بعضهم عن مسرح الأحداث ، كمروان بن محمد ، ومنها ما يرجع إلى تَستُّر العباس بن الوليد بن عبد الملك على أخيه يزيد ، ومنها ما يُرَدُّ إلى خُبْثِ يزيد ودَهائه ، ومُراوغته ومُخادعته لأخيه العباس ، كلما نَهَرَهُ وزَدَعه ، ومُضِيِّه فى العمل والتخطيط واستقطاب الأنصار سرًّا .

٢- اليَمنيَّةُ وقَتْلُه

بدأت صلة القبائل اليمنية الشامية ببنى أمية فى ولاية معاوية بن أبى سفيان على الشام ، وتطورت بعد أن تزوج معاوية مَيْسُون بنت بَحْدَل الكلبية ، ووضعت له ابنه يزيد سنة اثنتين وعشرين[٤٥] وتوطدت خلال النزاع بين عَلِيٍّ ومعاوية على الخلافة ، فقد استعان معاوية بالقبائل اليمنية ، واستثار عصبيتها ، واستغل استعلاء التيار القبلى الإقليمى ، فجعل النزاع بينه وبين على نزاعاً بين أهل الشام وأهل العراق وآمالهم ومطامحهم فى السيادة والحكم[٤٦] .

ولما تَمَّ الغَلَبُ لمعاوية ، وصَفَتْ له الخلافة ازدادت صلته بالقبائل اليمنية الشامية ، وتفرعت وتشعبت ، إذ جمع بينه وبينها الصِّهْرُ والمصلحةُ الواحدة ، فَتَقَوَّى بها وتَقَوَّت به ، وَوَفَى لها وَوَفَتْ له ، فاستعملها فى أكثر الدواوين ، وبعض الولايات[٤٧] ، إذ اختار منها المسئولين عن ديوان الرسائل

(٤٥) تاريخ الطبرى ٤ : ١٦٠ .

(٤٦) مقدمة فى تاريخ صدر الإسلام ص : ٦١ .

(٤٧) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٣١ .

والحرس والشرط والخاتم[٤٨] ، وألَّفَ منها كتائب جيشه الفدائية التى نصبت نفسها للذود عنه وعن بنى أمية ، والانقضاض على الجماعات المعارضة لهم ، لأنها كانت تستشعر أن سقوط حكم بنى أمية بدمشق يؤذن بتَقلُّص نفوذها وسيطرتها وفوائدها ومنافعها .

وعظم سلطان القبائل اليمنية فى خلافة يزيد بن معاوية ، فكان منها معظم جيشه وقادته الذين بعث بهم إلى المدينة[٤٩] ، فحاربوا القرشيين ومن ناصروهم من الأوس والخزرج[٥٠] فى موقعة الحرة سنة ثلاث وستين ، وحاصروا مكة ، وأحرقوا الكعبة .

وعندما اضطرب أمر بنى أمية بعد موت يزيد بن معاوية ، وبدا أن حكمهم أشرف على الانهيار ، دعمت القبائل اليمنية فى فلسطين والأردن ودمشق مروان بن الحكم ، وبايعته بالخلافة ، فى مؤتمر الجابية سنة أربع وستين[٥١] ، وأيدته على القبائل القيسية ، ونصرته عليها فى معركة مرج راهط[٥٢] .

وسَوَّى عبد الملك بن مروان بين نفوذ القبائل ، فانتخب أغلب عماله على الأمصار من بنى أمية ومن قيس[٥٣] ، وخَصَّ القبائل اليمنية الشامية بأهم المناصب فى قصره ، فكان من السكاسك وقضاعة وحمير وخزاعة موظفو الدواوين بدمشق ، كديوان الشرط والخراج والجند والخاتم وبيوت الأموال والخزائن والحرس[٥٤] ، وكان منها صلب الجيش الأموى ، المتأهب لحراسة الخلافة الأموية ، وقمع المتمردين عليها ، ونهضت فرق عديدة منه بمحاربة الخوارج فى العراق[٥٥] . ولم يَحْرِمْ القبائل اليمنية العراقية من الوظائف ، فقد وَلَّى المهلب بن أبى صفرة الأزدى خراسان ، فَلم يزل عليها حتى وافته المنية سنة اثنتين وثمانين ، فخلفه عليها ابنه يزيد[٥٦] .

وأرسَل الحجاجُ بنُ يوسف عَبد الرحمن بن الأشعث الكندى الكوفى إلى سجستان لمناجزة زَنْبيل كابل وزابل بعد أن هزم عُبَيد الله بن أبى بكرة الثقفى ، فأبلى ابن الأشعث بلاءً حسناً فى قتال الزنبيل[٥٧] . ولكن الحجاج كان يمقت ابن الأشعث وينافسه ، إذ يقال : «كان الحجاج وليس

---

(٤٨) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٢٧٦ .

(٤٩) تاريخ الطبرى ٥ : ٤٩٦ ، وانظر ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ص : ٩٥ .

(٥٠) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٢٩٣ – ٣١٣ .

(٥١) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٣٢٦ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٢٥٦ ، وتاريخ الطبرى ٥ : ٥٣٥ .

(٥٢) تاريخ الطبرى ٥ : ٥٣٨ .

(٥٣) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٣٨٣ – ٣٨٨ .

(٥٤) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٣٩٤ – ٣٩٥ .

(٥٥) تاريخ الطبرى ٦ : ٢٧٩ ، ٣٠٩ .

(٥٦) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٣٨٦ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٣٢٠ ، ٣٥٤ .

(٥٧) تاريخ الطبرى ٦ : ٣٢٨ .

بالعراق رجلٌ أبغضُ إليه من عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث ، وكان يقول : ما رأيته قط إلاَّ أَرَدْتُ قَتْلَهُ »[٥٨] ، فَوَهَّن ابنَ الأشعث ، وعَجَّزَه ، واتهمه بالركون إلى الهدنة والمسالمة ، وأَمَرَه بِتعجيلِ الوُغُول فِي أرض العدو[٥٩] ، فغضب ابنُ الأشعث ، وَعصَى الحجاجَ وخلعه[٦٠] ، ثم خلع جند ابن الأشعث عبد الملك بن مروان ، وبايعوا له بالخلافة[٦١] ، وقفلوا إلى العراق ، فهاجموا البصرة والكوفة . فكانت ثورة ابن الأشعث أول ثورة عراقية على سلطان الحجاج وبنى أمية . وهى ثورة كان لأهل اليمن نصيبٌ كبيرٌ فيها ، وشَقِيَ الحجاجُ وعبدُ الملك بها ، ولم يَقْضِيَا عليها إلاّ بعد أن أرسل عبد الملك إلى الحجاج نجدات كثيرة من جند أهل الشام من اليمنية[٦٢] ، كما أنذرت بنى أمية من خطر القبائل اليمنية فى العراق والمشرق ، وفتحت باب التَّوَجُّس والريبة بينهم وبينها .

ولم يستطع الحجاج القدح فى المهلب بن أبى صفرة فى أثناء ولايته على خراسان ، إذ كان هو الذى استعمله عليها ، كما أن المهلب رفض محالفة ابن الأشعث ، ودعاه إلى الطاعة[٦٣] ، وكتب إلى الحجاج يحذره منه ، وإن كان الحجاج شك فى إخلاص المهلب له ، ورماه بأنه نصح لابن عمه عبد الرحمن بن الأشعث[٦٤] ، ولم يكن الحجاج راضيا بخضوع خراسان للمهالبة بعد موت المهلب ، فكان يراجع عبد الملك بن مروان فى أمر يزيد بن المهلب ، ويسأله الموافقة على عزله ، فكان عبد الملك يرفض طلبه ، تقديراً لصدق المهالبة فى محاربة الخوارج ، وصدهم عن البصرة والكوفة ، وملاحقتهم بفارس[٦٥] ، ولم يزل الحجاج بعد ثورة ابن الأشعث يَخْشَى يزيد ابن المهلب[٦٦] ، ويشى به وبآل المهلب ، حيناً يدمغهم عند عبد الملك بالزبيرية ، وحيناً يخوفه غدرهم ، حتى قَبِلَ عبد الملك رأيه ، فسمح له بإعفاء يزيد بن المهلب من ولاية خراسان[٦٧] ، فصرفه عنها وولَّى عليها قتيبة ابن مسلم الباهلى .

---

(٥٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ١٩ ، ٢٠ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٣٢٧ .

(٥٩) تاريخ الطبرى ٦ : ٣٢٥ .

(٦٠) تاريخ الطبرى ٦ : ٣٣٦ .

(٦١) تاريخ الطبرى ٦ : ٣٤١ .

(٦٢) تاريخ الطبرى ٦ : ٣٣٩ ، ٣٤٩ .

(٦٣) تاريخ الطبرى ٦ : ٣٣٨ .

(٦٤) تاريخ الطبرى ٦ : ٣٣٩ .

(٦٥) تاريخ الطبرى ٦ : ٣٠٣ .

(٦٦) تاريخ الطبرى ٦ : ٣٩٧ .

(٦٧) تاريخ الطبرى ٦ : ٣٩٥ .

وأبقى الوليد بن عبد الملك للقبائل اليمنية الشامية بعض الوظائف خارج دمشق ، إذ عهد لنفر منها بإدارة البصرة ، وأسند إلى غيرهم إدارة البحرين وعُمَان ومكة[٦٨] ، ولكنه أقصاها عن المناصب الكبرى فى قصره ، إذ وكَل أغلبها إلى مواليه ، كما عيَّن خاله كعب بن حامد العبسى على ديوان الشرط ، وأمسك أبناء الوليد وإخوته بمقاليد الأمور فى دمشق وحمص والصائفة وفلسطين والأردن[٦٩] . فضعفت سلطة القبائل اليمنية الشامية ، واستبد الحجاج بالعراق وخراسان وسائر بلدان المشرق ، وانحاز لقيس وحاباها ، وأقَرَّ الوليد بن عبد الملك سياسة الحجاج ولم يعترض عليها ، لأنه كان للحجاج الفضل فى ترشيحه لولاية العهد ، وحَمْل أبيه على المبايعة بها[٧٠] ، وكاد الحجاج للقبائل اليمنية العراقية ، وتَسَلَّطَ عليها ، وحبس يزيد بن المهلب وإخوته وعَذّبهم ، وأغْرَمَهم ستة آلاف ألف درهم[٧١] . ولم يزالوا فى حبسه حتى سنة تسعين ، ثم فروا منه ، واستجاروا بسليمان ابن عبد الملك فى فلسطين فأجارهم . فأفزع هَرَبُهم الحجاجَ ، لأنه كان يظن قبل أن يعرف مكانهم أنهم يَمَّموا وجوههم شطر خراسان ، ليعلنوا بها الثورة عليه[٧٢] ، ثم أخذ لهم سليمان الأمان من أخيه الوليد .

ولم يكد سليمان بن عبد الملك يتَوَلَّى الخلافة حتى قضى على نفوذ قيس فى العراق والمشرق ، وردّ السلطة إلى المهالبة والقبائل اليمنية العراقية والشامية ، إذ استعمل يزيد بن المهلب على العراق وخراسان ، وأمره بِتَعقب ذوى الحجاج وموظفيه ، لأن سليمان نقم من الحجاج بن يوسف ، وقتيبة ابن مسلم موافقتهما الوليد بن عبد الملك على خلعه من ولايه العهد ، والمبايعة بها لعبد العزيز بن الوليد[٧٣] . فاضطهد ابن المهلب أقرباء الحجاج وعذبهم[٧٤] ، وغَلَبَت القبائل اليمنية الشامية ومواليها على الدواوين بدمشق ، فكان منها المشرفون على ديوان الرسائل والخراج والجند والخاتم والحرس[٧٥] .

وقام عمر بن عبد العزيز بالخلافة ، فاحتفظ للقبائل اليمنية الشامية بأقل الوظائف فى دمشق[٧٦] ،

---

(٦٨) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٤١٤ .

(٦٩) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٤١٨ .

(٧٠) تاريخ الطبرى ٦ : ٤١٤ .

(٧١) تاريخ الطبرى ٦ : ٤٤٨ .

(٧٢) تاريخ الطبرى ٦ : ٤٤٩ .

(٧٣) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٠٧ .

(٧٤) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٦٤ .

(٧٥) تاريخ خليفة بن خياط ١ : ٤٣١ .

(٧٦) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٦٨ .

واستكثر من القيسية ، وكان يستعمل منهم أهل الدين والتقوى والخير[٧٧] ، فعادت لقيس مكانتها السياسية فى أيامه . وعزل يزيد بن المهلب عن العراق وخراسان ، وسَجَنَه حتى يؤدى ستة آلاف ألف درهم من أموال المسلمين احتجزها لنفسه ، وكان كتب بها إلى سليمان بن عبد الملك بعد أن فتح جرجان وطبرستان[٧٨] . وظل فى السجن حتى علم بمرض عمر ، فأخذ يعمل فى الهرب ، مخافة يزيد ابن عبد الملك ، لأنه كان قد عَذَّب أصهاره من آل أبى عقيل الثقفيين[٧٩] ، ولم يلبث أن هرب .

ومات عمر ، وبويع يزيد بن عبد الملك بالخلافة ، وبلغه هرب يزيد بن المهلب ، فكتب إلى عَامليْه على الكوفة والبصرة فى طلبه ، وأمر عامله على البصرة بِأَخْذِ من كانوا بها من المهالبة[٨٠] ثم استولى ابن المهلب على البصرة ، وعَزَلَ يزيد بن عبد الملك ، ونَصَّبَ نفسه خليفةً للمسلمين ، فوجَّه إليه يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة بن عبد الملك ، وابن أخيه العباس بن الوليد بن عبد الملك فى جند أهل الشام ، فأحبط ثورته ، ومحقا من أيدوه ، وطارد قادتها فلول المهالبة بفارس وأبادوها[٨١] .

فازدادت شكوك بنى أمية فى ولاء القبائل اليمنية العراقية والخراسانية ، وعَظُم سخطها عليهم . وكان جديع بن على الكرمانى زعيم الأزد بخراسان يقول خلال خروجه على نصر بن سيار : «كانت غايتى فى طاعة بنى مروان أنْ يُقَلِّدَ وَلَدى السيوف ، فأطلب بثأر بنى المهلب ، مع ما لقينا من نصر وجفائه ، وطول حرمانه ، ومكافأته إيانا بما كان من صنيع أسد إليه»[٨٢] . واعتمد يزيد بن عبد الملك على القيسية ومالأهم ، وَعيَّن عمر بن هبيرة الفزارى على العراق ، فبعث إلى خراسان غَيْر والٍ من قيس[٨٣] وأخلى يزيد الدواوين بدمشق من اليمنية ، وعهد بها إلى مواليه وآخرين من قيس وتميم[٨٤] ، ولكنه استمر يصانع القبائل اليمنية الشامية بعض المصانعة ، لأنها هى التى نصرته على المهالبة ، فأعطاها حكم بعض الولايات النائية كالجزيرة وأرمينية وأفريقية ومصر[٨٥] .

وأفضت الخلافة إلى هشام بن عبد الملك فوازن بين القُوَى القبلية من اليمنية والقيسية ، وظل

(٧٧) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٥٤ .
(٧٨) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٥٤ ، ٥٥٨ .
(٧٩) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٦٤ .
(٨٠) تاريخ الطبرى ٦ : ٥٧٨ .
(٨١) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٧٢ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٣١١ ، وتاريخ الطبرى ٦ : ٥٨٥ ، ٥٩١ .
(٨٢) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٨٧ .
(٨٣) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٨٤ .
(٨٤) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٨٧ .
(٨٥) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٤٨٥ .

يعتمد على القرشيين من بنى أمية وغيرهم ، فاستعمل على مكة والمدينة والطائف خَالَيْه إبراهيم ومحمداً ابنى هشام المخزوميين[٨٦] ، وَوَلَّى على العراق وخراسان خالد بن عبد الله القسرى البَجَلى ، فسيطر اليمنية من أهل الشام والعراق على الوظائف فى البصرة والكوفة وسجستان والسند[٨٧] . وبسط خاله نفوذه على خراسان ، فَعَزل عاملها القيسى ، وأرسل إليها أخاه أسداً ، فَلَبِثَ فيها ثلاث سنين ، ثم خلعه هشام عنها ، لأنه أظهر العصبية للأزد واليمنية ، وجار على المضرية حتى أفسد الناس[٨٨] ، وفصلها عن العراق ، وأشرف على إدارتها بنفسه ، لأهميتها وما قد ينتج عن تَأَزُّمِ أوضاعها السياسية وتَردِّيها وانفجارها من أخطارُ تهددُ الحكومة المركزية[٨٩] ، وتؤثر فى مستقبل الخلافة الأموية ، وأرسل هشام إلى خراسان عمالاً كثيرين من قيس[٩٠] . حتى إذا ثار بها الحارث بن سُرَيْج التميمى المرجئى ، وتعاقد هو وعاملها عاصم بن عبد الله الهلالى على محاربة هشام إذا لم يعمل بالكتاب والسنة ، ولم يُوَلِّ أهلَ الفَضْلِ والخير[٩١] ، عزل هشام عاصماً الهلالى عنها ، وبعث إليها أسداً القسرى فى جند أهل الشام[٩٢] سنة ست عشرة ومائة ، لِيَضْبِطَ أمورها ، فمكث بها إلى أن توفى ببلخ سنة عشرين ومائة[٩٣] ، فعهد هشام بها إلى نصر بن سيار ، فلم يزل والياً عليها حتى أطاح به العباسيون ومات فى مهربه منهم[٩٤] .

واختار هشام موظفى الدواوين والمناصب الأساسية فى دمشق من القيسية ، ومن مواليه ، ومن اليمنية ومواليهم . فكان على شرطه كعب بن حامد العبسى ، ثم يزيد بن يَعْلَى العبسى[٩٥] ، وعلى ديوان الرسائل سالم مولاه ، وعلى الحرس نُصَيْر مولاه ، ثم نَحَّاه وولى الربيع بن زياد . وكان على الخاتم الصغير والخاصة إصطخر أبو الزبير مولاه ، وكان حاجبه غالب بن مسعود مولاه ، وكان على الخاتم الربيع بن سابور مولى بنى الحريش من أهل اليمن[٩٦] ، وعلى ديوان الخراج أسامة بن زيد ، ثم

(٨٦) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٣٤ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٩ ، والأغانى ١ : ٤٠٥ .

(٨٧) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٣٥ .

(٨٨) تاريخ الطبرى ٧ : ٤٧ .

(٨٩) تاريخ الطبرى ٧ : ٤٧ .

(٩٠) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٣٧ .

(٩١) تاريخ الطبرى ٧ : ٩٧ .

(٩٢) تاريخ الطبرى ٧ : ١٠٥ .

(٩٣) تاريخ الطبرى ٧ : ١٣٩ .

(٩٤) تاريخ الطبرى ٧ : ٤٠٣ .

(٩٥) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٤٤ .

(٩٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٦٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ١٤٨ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٣٣٥ .

عَزَله ، وَوَلَّى عُبَيْدَة بن الحبحاب مولى بنى سلول ، ثم عزله وَوَلَّى سعيد بن عُقْبَة مولى بنى الحارث بن كعب من أهل اليمن ، وكان على الخزائن وبيوت الأموال عبد الله بن عمرو بن الحارث من أهل اليمن[٩٧] .

وعَزَلَ هشامٌ خالداً[٩٨] عن العراق سنة عشرين ومائة ، وبعث إليها يوسف بن عمر الثقفى أحد زعماء القيسية المجاهرين بعداء اليمنية . وتتعدد الروايات فى عزل هشام لخالد ، ويكثر الافتعال فيها ، حتى ليقذف فى بعض الروايات بالزَّندقة ، ومُحاباة النصارى والمجوس ، وظُلْمِ المسلمين[٩٩] . وربما كانت هذه التهَمُ مما وَضَعَه عليه خصومُه من قيسٍ وتميم ، وكانوا متحالفين فى البصرة على الأزد وربيعة ، إذ يَتَرَدَّدُ رَمْيُه بالكفرِ والانحيازِ للنصارى ، والتَّحزُّبِ على المسلمين فى شعر الفرزدق ، شاعر تميم ومضر بالبصرة[١٠٠] ، كَمَا يَتَرَدَّد فى بعض رسائل هشام إلى خالد حين عَزَمَ على خلعه[١٠١] .

ويبدو أن هشاماً أقصى خالداً لأسباب سياسية وأخرى اقتصادية ، فقد عَظُمَ نُفوذُ خالد ، واستبد بخراج العراق ، واستغله لتحقيق مآربه ، وخِدْمَة مصالحه ، فكان يُنْفِقُ منه على سائليه بغير حساب ، إذ يروى اليعقوبى أنه فَرَّق مرة ستةً وثلاثين ألف ألف درهم ، فاستعظمها هشام[١٠٢] .

وجَعَل خالدٌ يَتَنَفَّخُ على هشام ، ويَسْتَخف به[١٠٣] . ويضطهُد المضرية ، ويَعْسِفُ بسادتهم[١٠٤] ، إذ حبس عمر بن هبيرة الفزارى . وعَذَّبه[١٠٥] . وكان ابن هبيرة أحسن إليه فى خلافة يزيد بن عبد الملك ، فقد ضرب خالدٌ حَبَّابةَ ، وهو عامل على مكة للوليد بن عبد الملك ، ثم صارت ليزيد ، فلما وَلِى يزيد الخلافة خافَهُ خالد ، وخافَ حَبَّابة . وتَبَنَّاها ابن هبيرة ، فسأله خالدٌ أنْ يَترضَّاها له ، وأَهْدَى إليها هدايا ، فاسْتَشْفَعَ له ابنُ هبيرة عندها ، وأَمَّنه من خَوْفها[١٠٦] ويروى

---

(٩٧) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٤٤ – ٥٤٦ .

(٩٨) ترجمة خالد فى أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٦٦ ، والأغانى ٢٢ : ١ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٦٧ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٢٢٦ ، والبداية والنهاية ١٠ : ١٧ .

(٩٩) الأغانى ٢٢ : ١٦ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٧٩ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٢٢٨ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ ، الورقة : ٢١ ظ .

(١٠٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٦٩ ، والكامل ، للمبرد ٣ : ٨٧ .

(١٠١) الأخبار الموفقيات ص : ٢٩١ ، والكامل ، للمبرد ٤ : ١٢١ .

(١٠٢) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣٢٢ ، وانظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٩٥ ، ووفيات الأعيان ٢ : ٢٢٧ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٢٠ .

(١٠٣) تاريخ اليعقوبى ٢ : ٣٢٢ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ١٤٣ ، ١٤٦ ، والأغانى ٢٢ : ٢٢ .

(١٠٤) الأغانى ٢٢ : ١٥ .

(١٠٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٦٨ .

(١٠٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنيه ، المجلد الثانى ص : ٢٦٧ .

البلاذرى أن خالداً وأعوانه ظلوا يَمْكُرُونَ بابن هبيرة بعد أن فَرَّ من حبسه بالعراق ، ويُوقعُون به فى أثناء مجاورته لهشام بالرصافة[١٠٧] ، ويروى أن خالداً أرسل إلى ابن هبيرة من سَمَّه ، ليبقى والياً على العراق[١٠٨] .

واستهان خَالدٌ ببعض القرشيين من أقارب هشام ، وَوَبَّخهم وعضهم بلسانه[١٠٩] . فَمَقَتَهُ المضرية ، وطعنوا فى ولائه لهشام ، وكانوا يتهمون اليمنية بمنافسة بنى أمية فى الخلافة ، ويحذرون هشاماً من خيانتهم قبل استعماله لخالد على العراق وبعده ، إذ يقول عمر بن يزيد الأُسيلمى التميمى : « دخلت على هشام ، وخالد بن عبد الله القسرى عنده يذكر طاعة أهل اليمن ووفاءهم ، وذلك قبل ولايته على العراق ، فَصَفَّقْتُ تَصْفِيقةً دَوَّى منها البَهْوُ وقلت : ما رأيتُ كهذا القول خطأ وخَطلاً ! والله ما فتحت فتنة فى الإسلام إلاَّ باليمن ، هم سعوا على عثمان أمير المؤمنين فقتلوه ، وهم خلعوا أمير المؤمنين عبد الملك ، وإنّ سيوفنا لتَقْطُر من دماء آل المهلب »[١١٠] ، ويقول البلاذرى : « كان الكميت ابن زيد الأسدى يحذر هشاماً غدر خالد ، ويذكر ما تَدَّعى اليمنية من مَصِيرِ الأمر إليهم ، فإن ابن الأشعث كان ادّعى ذلك لنفسه ، ثم يزيد بن المهلب بعده ، وإن خالداً أطمع نفسه فى ذلك »[١١١] .

ولمْ يَؤيِّد خالدٌ هشاماً فى نقل ولاية العهد من الوليد بن يزيد إلى مسلمة بن هشام بن عبد الملك[١١٢] ، فأسخط هشاماً وابنه مسلمة ، وأخذ مسلمة يَتَرَبَّصُ بخالدٍ ، ويُدَبِّر للانتقام منه ، فلم يزل يُغْرى والده بخلعه عن العراق[١١٣] فَتَنكَّر هشامٌ لليمنية وأحلافهم من الربعية ، ولمَ يَعُدْ يثق بهم فى آخر خلافته ، وفى ذلك يقول أبو حنيفة الدينورى : « كان هشام بن عبد الملك يُبْغِضُ اليمانية »[١١٤] ، وَيُروى أن هشاماً قال عندما اقترح عليه عبد الكريم بن سليط بن عطية الحنفى حليف اليمنية ، أن يُوَلِّىَ على خراسان جديع بن على الأزدى الكرمانى بعد موت أسد القسرى : « لا حاجة لى

---

(١٠٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٦٩ .

(١٠٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٧٠ .

(١٠٩) تاريخ الطبرى ٧ : ١٤٣ ، ١٤٥ .

(١١٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٦٦ .

(١١١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٥١ .

(١١٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٨٣ ، ٣١٠ .

(١١٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٥١ ، وانظر تاريخ الطبرى ٧ : ٢١٠ .

(١١٤) الأخبار الطوال ص : ٣٤٠ .

فى اليمانية»[١١٥]، وقال حين عرض عليه أن يُوَلِّى عليها يحيى بن نعيم البكرى : «لا حاجة لى فيه ، لأن ربيعة لا تُسَدُّ بها الثغور»[١١٦].

وكانت مزاحمة خالد لهشام فى الزراعة السبب الذى عَجَّل بتنحيته عن العراق ، فإن خالداً لما ولى العراق استصلح مساحات واسعة من الأرض ، وحفر أنهاراً منها نهر خالد كان يغلُّ خمسة آلاف ألف درهم ، وبَاجَوَّا ، وبارِمَّا[١١٧] ، والجامع ، والمبارك ، ولُوبة ، وسابور والصِّلْح ، واشتغل بالزراعة ، فبلغت غلته عشرين ألف ألف درهم[١١٨] ، وكان لهشام مزارع بالعراق ، فكان يحسد خالداً ، وكان خالد يسابقه ولا يُصانعه ، وبلغ هشاماً أن خالداً باع غَلَّة مزارعه بثلاثة عشر ألف ألف درهم ، فَحَنِقَ عليه[١١٩].

وضَمِنَ فروخ الرمانى ضياع هشام بالعراق ، فَثَقُلَ مكانُه على خالد ، فقال لحسان النبطى . اخرج إلى أمير المؤمنين ، فزد على فروخ ، فخرج فزاد عليه ألف ألف درهم ، فبعث هشام رجلين من صلحاء أهل الشام فحازا الضياع ، فصار حسان أثقل على خالد من فروخ ، فجعل يُضِرُّ بِهِ ، فيقول له حسان : لا تفسدنى وأنا صنيعتك ، فأبى إلاّ الإضرار به . فلما قدم حسان عليه بَثَقَ البُثُوق[١٢٠] على الضياع ، ثم خرج إلى هشام فقال له : إن خالداً بثق البثوق على ضياعك ، فَوَجَّه هشام رجلاً ، فنظر إليها ثم رجع إلى هشام فأخبره[١٢١] ، فأخذ يفكر فى خلع خالد . ومضى حسان النبطى فى الكيد لخالد عند هشام ، فأغرى خادماً من خدم هشام أنْ يُبكِّى صبيًّا من صبيان هشام ، وأن يقول له : اسكت ، والله لكأنك ابن خالد القسرى الذى غلته ثلاثة عشر ألف ألف درهم ، ففعل ، وسمع هشام كلمته فأغضى عليها ، ثم دخل عليه حسان بعد ذلك فقال له هشام : كم غلة خالد ؟ قال : ثلاثة عشر ألف ألف درهم . قال : فكيف لم تخبرنى بهذا ؟ قال : وهل سألتنى ؟ فوقرت فى نفس هشام ، فأزمع على عزل خالد[١٢٢].

وكان أشياع خالد وموظفوه من اليمنية بالعراق يشيرون عليه بملاطفة هشام ومداراته ، وينصحونه

---

(١١٥) الأخبار الطوال ص : ٣٤٠ .

(١١٦) الأخبار الطوال ص : ٣٤٠ .

(١١٧) فى تاريخ الطبرى ٧ : ٢٥٢ : بارمانا ، والتصويب من معجم البلدان ١ : ٤٩٤ .

(١١٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية المجلد الثانى ص : ٢٩٦ ، وانظر الأخبار الموفقيات ص : ٢٨٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ١٥١ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢١٩ .

(١١٩) تاريخ الطبرى ٧ : ١٤٣ ، انظر الكامل فى التاريخ ٥ : ٢٢٠ .

(١٢٠) بثق النهر : شقه لينبعث ماؤه ، واسم ذلك الموضع البثق ، وجمعه البثوق .

(١٢١) تاريخ الطبرى ٧ : ١٤٣ .

(١٢٢) تاريخ الطبرى ٧ : ١٤٣ ، وانظر تاريخ ابن خلدون ، المجلد الثالث ، القسم الأول ص : ٢٠٥ .

أن يعطى هشاماً قسماً من ثروته ، ليرضى عنه ، قبل أن يتفاقم الشر بينهما ، وكانوا يخوفون خالداً غضب هشام وسطوته ، فكان خالد لا يستمع لهم ، ولا يأخذ بمشورتهم ضناً بأمواله ، واعتداداً بنفسه ، إذ يروى الهيثم بن عدى الطائى أن العريان بن الهيثم النَّخَعىّ كان يقول لخالد : «إن الناس قد رَمَقُوك بأبصارهم وَحَدجُوك ، وهى قريش ، وليس بينك وبينهم إلٌّ ، وهم لا يجدون منك بدا ، وأنت لا تجد منهم بدا ، فأنشدك الله لما كتبت إلى هشام تخبره خبر أموالك ، وتعرض عليه ما أحب منها ، فما أَقْدرَكَ على اتخاذ مثلها ، ولا يَسْتَفْسدك ، وإن كان حريصاً ، وأعطه طائعاً ، خير من أن تعطيه كارهاً ، وله عندك اليد الجليلة التى تحفظ ولا تنسى ، وإنما نلت ما نلت فى سلطانه ، فإنه إن رفع عليك رافع وسعى بك سَاعٍ لم آمن عليك أن يحوزها . قال : ما أنت بِمُتَّهمٍ ، ولا يكون ذلك أبداً . فقال : أطعنى واجعلنى رسولك إليه ، فوالله لا يَحُلُّ عقدةً إلاَّ شَدَدْتُها ، ولا يشد عقدة إلاَّ حَلَلْتُها . قال : إنى والله ما أعطى على الذل ، فكان العريان يقول : كأنك بها قد أخذت منك على الذل والصغار»[١٢٣].

ويروى الهيثم بن عدى «أن بلال بن أبى بردة كتب إلى خالد وهو عامله على البصرة حين بلغه تَعتب هشام على خالد يستأذنه فى القدوم عليه ، فأذن له ، فسار إلى الكوفة فى يوم وليلة على الجمَّازات[١٢٤] ، فقال له خالد : يا أبا عمرو ، لقد أتعبت نفسك ، فقال : إنه قد بلغنى تَعتب أمير المؤمنين عليك ، وما بَغَاك به وَلَدُه وأهلُ بيته ، فإن رأيت أن تعرض عليه بعض أموالنا ليأخذ من ذلك ما أحب ، فافعل ، فإن أنفسنا طيبة بما نعطيه ، فقال : يا بلال ، إنى والله ما أعطى شيئاً قسراً . فقال : أتكلم أيها الأمير؟ قال : نعم ، قال : يقول لك هشام : وَلَّيْتُك ولا شىء لك ، فلم تَرَ على نفسك من الحق أن تعرض على بعض ما صار إليك ، وأخاف أن يزين له حسان النبطى ما لا تستطيع تَلاَفيه ولا تداركه ، فاغتنم هذه الفترة ، قال : انظر فى ذلك ، فانصرف راشداً . فانصرف بلال وهو يقول : كأنكم بهذا الرجل ، وقد بُعِثَ إليه رجل بعيد الرحم ، سخيف الدين ، بغيض النفس ، قليل الحياء ، فَأَخَذَهُ بالإِحَنِ والتِّرات»[١٢٥].

ومع أن هشاماً كان يأمر خالداً أن يراعى منافع أمير المؤمنين ، ويقدمها على منافعه ، فإن خالداً لم يعبأ به ، ومضى يزاحمه وينافسه ، وينتقده أمام العامة ، إذ كان يخطب فيقول : «تزعمون أنى

---

(١٢٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٩٦ ، وانظر تاريخ الطبرى ٧ : ١٥٢ .

(١٢٤) الجمازات ، جمع جماز ، وهو البعير .

(١٢٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٩٦ ، وانظر تاريخ الطبرى ٧ : ١٥٣ .

أُغْلى أسعاركم ، فعلى من يُغْليها لعنة الله »[١٢٦] ، يعنى هشاماً . وكتب إليه هشامٍ أَلاَّ يُباعَنَّ شيء من الغلات حتى تباع غلة ولد أمير المؤمنين »[١٢٧] ، فلم يكترث خالد له ، وباع محاصيله قبل محاصيل ولد أمير المؤمنين ، فكسدت سوقها وبارت ، حتى بيعت الكيلجة[١٢٨] بدرهم[١٢٩] فَقَلَّ صَبْرُ هشامٍ ، وقَرَّرَ عَزْلَ خالد ، وأخفى قراره على كاتبه سالم ، لصداقة كانت بينه وبين خالد ، فكتب إلى يوسف ابن عمر بخطه بولاية العراق ، وإلى خالد بالتسليم[١٣٠] وكان يوسف على اليمن ، فقدم العراق ، ونزل بالكوفة فى دور ثقيف ، وجمع إليه المُضرية[١٣١] . وكان هشام أمره بإقصاء عمال خالد جميعاً ، فأقصاهم عن البصرة والكوفة وسجستان وفارس ، إلاّ الحكم بن عوانه ، فإنه أقره على السند بأمر هشام[١٣٢] وحبس يوسف خالداً بواسط ، وحبس معه أخاه إسماعيل ، وابنه يزيد ، وابن أخته المنذر ، واستمر يوسف يسأل هشاماً فى ضرب خالد ، ويلح عليه ، فأذن له فى البسط عليه مرة واحدة ، وبعث حَرَسِيًّا يشهد ذلك ، وحلف لئن أتى على خالد أجله وهو فى يده لَيَقْتُلَنَّهُ به ، فَعذَّبَهُ يوسف بالحيرة عَلانيةً ، ثم رَدَّه إلى محبسه ، فَلَبِثَ فيه ثمانية عشر شهراً ، ثم كتب هشام إلى يوسف يأمره بتخلية سبيلِ خالدٍ سنة إحدى وعشرين ومائة[١٣٣] .

ورحل خالد حتى أتى الرصافة ، فنزل بالقرب منها ، وأقام أشهراً ، وهشام لا يأذن له فى القدوم عليه ، نكايةً به ، واحتقاراً له ، وجعل يوسف يتربص بخالد بعد أن أطلقه ، ويشى به إلى هشام ، فلما ثار زيد بن على اتَّهم يوسف خالداً بأنه أَمَدَّ بنى هاشم بالأموال ، وشَدَّ من أَزْرِهم فى أثناء ولايته على العراق ، حتى ثاروا بهشام ، فكَذَّبَ هشامٌ يوسفَ ، ولم يَأْبَهْ بافترائه على خالد ، وقال : إننا مهما اتهمنا خالداً فإننا لا نَتَّهمه فى طاعته[١٣٤] . وبلغ الخبر خالداً فصار إلى دمشق ، وأقام بها حتى حضرت الصائفة ، فخرج فيها ومعه أبناؤه وبعض حَفَدَتِه ، وكان على دمشق كلثوم بن عياض

---

(١٢٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٩٧ ، وانظر تاريخ الطبرى ٧ : ١٥٤ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٢٠ .

(١٢٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٩٧ ، وانظر تاريخ الطبرى ٧ : ١٥٤ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٢٠ .

(١٢٨) الكيلجة : نوع من المكاييل . انظره فى المكاييل والأوزان الإسلامية ص : ٧١ .

(١٢٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٩٧ ، وانظر تاريخ الطبرى ٧ : ١٥٤ .

(١٣٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٩٥ ، ٢٩٧ .

(١٣١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٩٥ .

(١٣٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٩٧ ، وانظر تاريخ الطبرى ٧ : ١٥١ .

(١٣٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية المجلد الثانى ص : ٢٩٨ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٥٤ .

(١٣٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٩٨ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٥٥ .

ابن وَحْوَح ابن قيس القشيرى[١٣٥] ، وكان متحاملاً على خالد مُطابقاً ليوسف على أمره . ولم يكد أهل الصائفة يَدْخُلَون أرض الروم حتى ظهر فى دمشق حريق ، فاتهّم كلثوم بن عياض خالداً بتدبيره ، وكتب إلى هشام أن موالى خالد يريدون الوثوب على بيت المال ، ونهب الناس ، فأمره هشام بِحَبْس آل خالد صغيرهم وكبيرهم ومواليهم ونسائهم ، فأخذهم عياض وألقاهم فى السجون مع أهل الجرائم . ثم تَبيَّن أن أبا العُرِس[١٣٦] وأصحاباً له من العراق هم الذين أشعلوا الحريق ، وأنهم لصوص ، فكتب الوليد بن عبد الرحمن ، عامل الخراج بدمشق إلى هشام يخبره ببراءة من حُبسوا من أهل خالد ، فكتب هشام إلى كلثوم بن عياض القشيرى يَشْتِمُه ويُعَنِّفُه ، ويأمُرُه بتَخلية الذين حبسهم من أهل خالد ومواليه وغيرهم ممن هو منهم بسبب ، فَخَلاَّهم . وعاد خالد من الغزو ، وبلغه فى بعض الطريق حَبْسُ أهله ، ولم يبلغه إطلاقهم ، فغضب وقال : غزوت فى سبيل الله سامعاً مطيعاً ، فأخذ حرمى وحرم أهل بيتى فحبسوا مع أهل الجرائم ، كما يُفْعَلُ بأهل الشرك ! وهدَّد هشاماً – إن لم يكف عنه – بالدعوة للعباسيين والانضمام إليهم ، فاتّهمه هشام بالخرف[١٣٧] .

ولما أيقن يوسف بن عمر الثقفى أن هشاماً لا يمكن أن يُحكِّمَهُ فى خالد ، أو أن يطلق يده فى ضَرْبِهِ ، لَجَّ فى طلب يزيد بن خالد ، فكتب هشام إلى كلثوم بن عياض يأمره بحمل يزيد إلى يوسف ، فبعث إليه خيلاً فَفَاتَها ولم تقدر عليه ، فحبس كلثوم خالداً فى سجن دمشق ، فسار إسماعيل ابن عبد الله القسرى إلى هشام فأخبره بحبس كلثوم لخالد ، فكتب هشام إلى كلثوم يُوَبِّخه ، ويقول : عجزت عمن أمرتك بأخذه ، وحبست من لم آمرك بحبسه ، وأمره بالإفراج عن خالد ، فأفرج عنه[١٣٨] . وأقام خالد بدمشق حتى توفى هشام .

وهكذا انتقم هشام من خالد ، إذ عزله عن العراق ، ووافق على سجنه ، وإن لم يسمح بقتله ، لأنه كان يعلم قدر خالد وخطره ، وأنه سيد اليمنية فى الشام والعراق ، وأن قتله يثير اليمنية ، وهم صلب جيش أهل الشام ، فاكتفى هشام بحبس خالد وضربه ، مع المحافظة على حياته ، وحمايته من دسائس يوسف وأنصاره .

ولكن دهاء هشام واحتراسه وتحوطه فى معاملة خالد مُصانعةً لليمنية لم تخفف من تَذَمُّرهم

---

(١٣٥) فى الأخبار الطوال ص : ٣٤٩ ، وفى تاريخ الطبرى ٧ : ٢٥٥ ، القسرى ، وهو خطأ ، والصحيح القشيرى (انظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٩٨ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٢٩٠) .

(١٣٦) فى الأخبار الطوال ص : ٣٤٩ ، وفى تاريخ الطبرى ٧ : ٢٥٦ : أبو العمرس ، وفى أنساب الأشراف مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٩٩ : أبو العرس .

(١٣٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٩٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٥٧ .

(١٣٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٩٩ ، وانظر تاريخ الطبرى ٧ : ٢٥٧ .

وتَسَخُّطهم ، فقد أنفوا من خلع هشام لزعيمهم ، وإذنه بإهانته ، وامتعضوا من توليته يوسف بن عمر الثقفى على العراق ، وَوَقَر فى نفوسهم أنهم مظلومون مستعبدون ، وأن خلفاء بنى أمية يسفكون دماء رؤسائهم ، ويستهينون بتضحياتهم السابقة دفاعاً عن الخلافة الأموية ، ويُسلِّطُون القيسية عليهم فى الشام والعراق وخراسان ، مما هاجَ الصِّراعَ بين اليمنية والمضرية من قيس وتميم فى الأقاليم الثلاثة .

وتَتَقَطع أخبار خالد فى عهد الوليد بن يزيد ، ولا يسوقها الإخباريون كالهيثم بن عدى والمدائنى وغيرهما متتابعة متواترة ، بل يروون منها أجزاء متباعدة متناثرة دون ترتيبٍ أو مراعاةٍ للزمان وتطور الأحداث ، وما كان ينشأ عنها من نتائج . ومع ذلك فإنه يمكن الجمع بين أجزائها وتنسيقها تنسيقا ظنيًّا يرسم منها صورة متسلسلة متكاملة تكشف عن حال خالد ، وعلاقته بالوليد ، وأسباب اختلافهما ، وما أدَّتْ إليه من دَفْعِ الوليد خالداً إلى يوسف بن عمر الثقفى ، وقَتْل يوسف له .

فقد كان خالد بدمشق عندما بويع للوليد بالخلافة . ويظهر أنه لم يقصد الوليد بعد أن شهد جنازة هشام وعاد من الرصافة إلى دمشق ، إذ يروى الهيثم بن عدى أن خالداً وفد على الوليد مع أشراف الأجناد ، ولم يستقبل الوليد أحداً منهم ، واشتكى خالد ، واستأذن فى الرحيل ، فأذن الوليد له[١٣٩] ويذكر الأزدى أن خالداً سار إلى الوليد وهو بالقسطل من البلقاء بالأردن ، فأشار عليه الوليد بدخول دمشق والمقام بها[١٤٠] فَقَفَل إليها ، ومكث بها أشهراً من أواخر سنة خمس وعشرين ومائة وأوائل سنة ست وعشرين ومائة ، وقف فيها خالدٌ مواقف لم يَحْمَدْها الوليد له ، بل حَقَدها عليه ، ففيما يرويه المدائنى «أن الوليد بن يزيد دعا خالد بن عبد الله القسرى إلى البيعة لابْنَيْه ، فَأَبَى ، فقال له بعض أهله : دعاك أمير المؤمنين فخالفته ! فقال : ويحكم ! كيف أبايع لمن لا أصلى خلْفه ، ولا أقبل شهادته ؟ قالوا : فَتَقْبَلُ شهادةَ الوليد مع مجونه وفسقه ! قال : أمر الوليد أمر غاب عنى ، فلا أَتَتَبَّعُه . وإنما هى أخبار الناس . فغضب الوليد على خالد وقال : كان الأحول أعرف به»[١٤١] .

فخرج خالد على إرادة الوليد ، وامتنع عن المبايعة لولديه الحكم وعثمان بولاية عهده ، وكان الوليد لا يَحْتَمِلُ أنْ يُعارضَ أحدٌ رَغْبَتَهُ فى هذا الأمر .

واجتمع إلى خالد بدمشق نفر من اليمنية الذين كانوا يسعون إلى الثورة بالوليد ، وسألوه الانتظام فى صفوفهم فرفض ، وفى ذلك يقول المدائنى : «أتى حريث وشبيب بن أبى مالك الغسانى ،

---

(١٣٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٩٩ ، وانظر الإمامة والسياسة ٢ : ١٣٢ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٥٨ .

(١٤٠) تاريخ الموصل ص : ٥٢ .

(١٤١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٧ ، وانظر تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٢ ، وتاريخ الموصل ص : ٥٢ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨١ .

ومنصور بن جمهور ، ويعقوب بن عبد الرحمن ، وحبال بن عمرو ، ابن عم منصور ، وحميد ابن نصر اللخمى ، والأصبغ بن زوالة ، وطفيل بن حارثة ، والسرى بن زياد بن علاقة ، خالد بن عبد الله ، فدعوه إلى أمرهم ، فلم يجبهم ، فسألوه أن يكتم عليهم ، فقال : لا أُسَمِّى أحداً منكم . وأراد الوليد الحج ، فخاف خالد أن يفتكوا به فى الطريق ، فأتاه فقال : يا أمير المؤمنين ، أَخِّر الحجَّ العام ، فقال : وَلِمَ ؟ فلم يخبره »[١٤٢] .

فَعَظُمَ غضُب الوليد على خالد ، لأنه أخفى عليه أسماء اليمنية الذين أضمروا قتله ، فاستدعاه من دمشق إلى الأزرق جنوبى عمان من الأردن ، وقرر محاسبته ومعاقبته ، وكتب إليه فيما يرويه الهيثم بن عدى : « إن أمير المؤمنين قد علم حال الخمسين الألف ألف التى تعلم ، فأقدم على أمير المؤمنين مع رسوله ، فقد أمره ألاّ يُعْجلك عن جهازك» . فبعث خالد إلى عدة من ثقاته منهم عمارة بن أبى كلثوم الازدى ، فأقرأهم الكتاب ، وقال : أشيروا علىّ ! فقالوا : إن الوليد ليس بمأمون عليك ، فالرأى أن تدخل دمشق ، فتأخذ بيوت الأموال ، وتدعو إلى من أحببت ، فأكثر الناس قومك ، ولن يختلف عليك رجلان . قال : أو ماذا ؟ قالوا : تأخذ بيوت الأموال ، وتقيم حتى تتوثق لنفسك . قال : أو ماذا ؟ قالوا : أو تتوارى . قال : أما قولكم : تدعو إلى من أحببت ، فإنى أكره أن يكون الفرقة والاختلاف على يدى ، وأما قولكم : تتوثق لنفسك ، فأنتم لا تأمنون على الوليد ، ولا ذنب لى ، فكيف ترجون وفاءه لى ، وقد أخذت بيوت الأموال ! وأما التوارى ، فوالله ما قَنَّعْتُ رأسى خوفاً من أحد قط ، فالآن وقد بلغت من السن ما بلغت ! لا ، ولكن أمضى وأستعين بالله »[١٤٣] .

فاليمنية كانوا عازمين على الوثوب بالوليد ، والإطاحة به ، وكانوا يأملون أن ينضم خالد إليهم ، فتقوى حركتهم ، ويَتَصدر جماعتهم ، فيخلع الوليد ، ويدعو لنفسه أو لمن أحب ، ليتم لهم الاستيلاء على الخلافة ، والاستئثار بها . ولكن خالداً رفض الانضمام إليهم ، لأنه كان يكره العصيان .

ويكمل الهيثم بن عدى وصف حال خالد بعد ذلك فيقول : « خرج حتى قدم على الوليد ، فلم يَدْعُ به ، ولم يكلمه . . . . وجاء الحاجب فوقف ، فقال له خالد : إنَّ حَالى ما تَرَى . لا أقدر على المشى ، وأنا أحمل فى كرسى ، فقال الحاجب : لا يَدْخُلُ عليه أحدٌ يُحْمَلُ . . . ثم أذن للناس كلهم ، وأمر بخالد ، فَحُمِلَ على كرسيِّه ، فَدُخِلَ به ، والوليد جالس على سريره . . . . والناس بين

---

(١٤٢) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٣ ، وانظر الإمامة والسياسة ٢ : ١٣٣ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٧ ، وتاريخ الموصل ص : ٥٢ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨١ ، وتاريخ الإسلام ٥ : ١٧٥ ، وسير أعلام النبلاء ، مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلد الخامس ، الورقة : ١١١ ظ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٨ ، ٢١ .

(١٤٣) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٥٨ ، وانظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠٠ .

يديه سماطان ، وعقال بن شبة يخطب ، فَمِيلَ بخالد إلى أحد السماطين . فلما فرغ الخطيب قام الوليد ، وصرف الناس ، وحمل خالد إلى أهله . فلما نزع ثيابه جاءه رسول الوليد فَرَدَّه ، فلما صار إلى باب السرداق وقف فخرج إليه رسول الوليد فقال : يقول لك أمير المؤمنين : أين يزيد بن خالد ؟ فقال : كان أصابه من هشام ظفر ، ثم طلبه ، فهرب منه ، وكنا نراه عند أمير المؤمنين حتى استخلفه الله ، فلما لم يظهر ظننا ببلاد قومه من السراة ، فرجع إليه الرسول فقال : لا ، ولكنك خَلَّفْتَه طلباً للفتنة . فقال : خالد للرسول : قد علم أمير المؤمنين أنا أهل بيت طاعة ، أنا وأبي وجدى – قال خالد : وقد كنت أعلم بسرعة رجعة الرسول ، أن الوليد قريب حيث يسمع كلامى – فرجع الرسول فقال : يقول لك أمير المؤمنين : لَتَأْتِينَّ به ، أو لأُزْهِقَنَّ نفسك . فرفع خالد صوته ، وقال : قل له : هذا أردت ، وعليه درت ، والله لوكان تحت قَدَمَيَّ ما رفعتهما لك عنه ، فاصنع ما بَدَا لك ! فأمر الوليد غيلان صاحب حرسه بالبسط عليه ، وقال له : أسمعنى صوته ، فذهب به غيلان إلى رَحْلِه ، فعذبه بالسلاسل ، فلم يتكلم ، فرجع غيلان إلى الوليد ، فقال : والله ما أعذب إنساناً ، والله ما يتكلَّم ولا يَتَأَوَّه ! فقال : اكفف عنه واحبسه عندك»[١٤٤] .

وأمر الوليد بالبحث عن يزيد بن خالد ، فَظُفِرَ به فى دمشق ، وقُبِض عليه ، وسيق إلى الوليد ، فظل محبوساً فى عسكره حتى قتل الوليد[١٤٥] .

ولم يزل خالد مسجوناً حتى أجمع الوليد على عزل يوسف بن عمر الثقفى ، لأنه لم يبعث إليه خراج العراق ، وكتب يستوفده ، فوفد إليه ، ويصور المدائنى احتيال يوسف لشراء خالد من الوليد بالأموال فيقول : «قدم يوسف وخالد محبوس ، فلقيه حسان النبطى ليلاً فأخبره أن الوليد عازم على تولية عبد الملك بن محمد بن الحجاج ، وأنه لابد ليوسف فيها من إصلاح أمر وزرائه ، فقال : ليس عندى فضل درهم ، قال : فعندى خمسمائة ألف درهم ، فإن شئت فهى لك ، وإن شئت فارْدُدْها إذا تيسرت . قال : فأنت أعرف بالقوم ومنازلهم من الخليفة منى ، ففرقها على قدر علمك فيهم ، ففعل . وقدم يوسف ، والقوم يعظمونه ، فقال له حسان : لا تَغْدُ على الوليد ، ولكن رُحْ إليه رَواحاً ، واكتب على لسان خليفتك كتاباً إليك ، أنى كتبت إليك ، ولا أملك إلاّ القصر ، وادخل على الوليد ، والكتاب معك مُتَخازِناً ، ومُرْ أبان بن عبد الرحمن النميرى يشترى خالداً منه بأربعين

---

(١٤٤) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٥٩ ، وانظر الإمامة والسياسة ٢ : ١٣٣ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠٠ .

(١٤٥) الإمامة والسياسة ٢ : ١٣٥ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ، ص : ٣٣٥ ، وتاريخ الموصل ص : ٥٤ .

ألف ألف ، ففعل يوسف ، فقال له الوليد : ارجع إلى عملك ، فقال له أبان : ادْفَعْ إلى خالداً ، وأَدْفَعُ إليك أربعين ألف ألف درهم . قال : ومن يَضْمن عنك ؟ قال : يوسف ، قال : أَتَضْمَنُ عنه ؟ قال : بل ادْفَعْهُ إليَّ ، فأنا أَسْتَأْدِيهِ خمسين ألف ألف ، فدفعه إليه »[١٤٦] .

ويكمل الهيثم بن عدى الخبر فيقول : « فأرسل الوليد إلى خالد : إنّ يوسف يشتريك بخمسين ألف ألف ، فإن كنت تَضْمَنُها ، وإلاَّ دفعتك إليه ، فقال خالد : ما عهدت العرب تباع ! والله لو سألتنى أن أضمن هذا – ورفع عوداً من الأرض – ما ضمنته ، فَرَ رَأْيَك . فدفعه إلى يوسف ، فنزع ثيابه ، ودَرَّعه عباءة ، ولَحَّفَهُ بأخرى ، وحمله فى محمل بغير وطاء . . . . ثم قدم يوسف الحيرة ، فدعا به ، فبسط على خالد ، فلم يكلِّمْهُ . فمكث خالد يوماً فى العذاب ، ثم وضع على صدره المضرسَة[١٤٧] ، فقتله من الليل . ودفن بناحية الحيرة فى عباءته التى كان فيها ، وذلك فى المحرم سنة ست وعشرين ومائة »[١٤٨] .

فمناهضة خالد لسياسة الوليد كانت السبب المباشر فى غضبه عليه ، فقد رفض خالد المبايعة لابنى الوليد بولاية العهد[١٤٩] ، ثم تَكَتَّم على اليمنية الذين كانوا يخططون لاغتياله ، ولم يَدُلَّه على الموضع الذى توارى فيه يزيد بن خالد ، وكان الوليد يخشى أن يكون يزيد تَغَيَّبَ للوثوب به . ثم احتاج الوليد إلى المال ، وكان يَعْلَمُ أن خالداً اغتنى ممَّا حَازَ من أموال العراق ، وممَّا ثَمَّرَ بها من أمواله فى الزراعة ، فطالبه بخمسين ألف ألف درهم من خراج العراق الذى اتُّهم باحتجازه واختيانه[١٥٠] . واشترك يوسف بن عمر الثقفى فى الإيقاع بخالد ، وواطأه فى الإيقاع به حسان النبطى ، وكان لا يطيق خالداً ، لأنه ضَيَّق عليه وحَارَبه ونافسه فى وَكَالةِ بعض أراضى العراق فى آخر أيام هشام ابن عبد الملك ، وعَطَّل مصالحه ومنافعه . فَزَيَّن حسان ليوسف أن يَرْشُوَ موظفى الوليد ، ويشيع أن الأمر قد اضطرب بالعراق بعد خروجه منه ، وأن يشترى خالداً من الوليد بالمبلغ الذى طالبه به . وأشار حسان على يوسف أن يُدْخِلَ أبان بن عبد الرحمن النميرى[١٥١] فى المؤامرة ، وكان من خاصة

---

(١٤٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٣ .

(١٤٧) المضرسة : حجر ضخم خشن .

(١٤٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٦٠ ، وانظر الإمامة والسياسة ٢ : ١٣٤ ، والأخبار الطوال ص : ٣٤٧ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٦٠ .

(١٤٩) انظر تاريخ ابن خلدون ، المجلد الثالث ، القسم الأول ص : ٢٢٧ .

(١٥٠) الأخبار الطوال ص : ٣٤٧ .

(١٥١) أخطأ عبد المنعم عامر ، محقق الأخبار الطوال فى قراءة اسم أبان بن عبد الرحمن النميرى ، فظنه زياد بن عبد الرحمن الضُّمْرى . (انظر الأخبار الطوال ص : ٣٤٧) . والتصويب من تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٤ .

الوليد ، وممن يعاندون خالداً ، ويعادونه . فاشترى أبان خالداً بأربعين ألف ألف درهم ، فدفعه الوليد إليه ، فسلمه ليوسف فسار به إلى العراق ليستخرج منه الخراج الذى استولى عليه ، فَنَكَّلَ بخالد وقتله .

واستَصْفَى يوسف موظفى خالد من مواليه ومن اليمنية ، وبطش بهم ، وقتل بعضهم ، إذ يقول المدائنى : «أخذ يوسف عمال خالد ، وهم ثلثمائة وخمسون ، وقال : قد بقى منهم كبشٌ كبير الصوف ، ولابد من أنْ يُجزَّ ، يعنى الحكم بن عوانة الكلبى ، وكان على السند ، وكان هشام يُقَدِّمُ فيه إلى يوسف ، واستخرج منهم تسعين ألف ألف درهم ، ولولا عنفه لأخذ منه أكثر من ذلك . وأخذ يوسف مولى لخالد يقال له : داود ، فسأله عن أموال خالد ، فلم يُقِرَّ له بشىء ، فضربه حتى مات»(١٥٢) .

فتراكم تَذَمُّر اليمنية وتَسَخُّطهم بالشام والعراق ، وكانوا بدءوا يضجون بالشكوى من بنى أمية ، وَيَتَضجَّرون منهم فى نهاية القرن الأول بعد محق عبد الملك بن مروان لعبد الرحمن بن الأشعث الكندى ، ومن التفوا حوله من اليمنية وغيرهم . ثم حنقهم على بنى أمية فى بداية القرن الثانى عندما نَكَب يزيد بن عبد الملك المهالبة وكاد يُفْنيهم . وتنامى حقد اليمنية فى آخر أيام هشام حين أقصى خالداً عن العراق وأمر بحبسه وجلده . وتَصَدَّى الوليد بن يزيد لخالد ، لأنه قاوم رغباته السياسية ، فسجنه وأذن فى ضربه . وكان قتل يوسف بن عمر الثقفى لخالد خاتمة النكبات التى حاقت باليمنية ، وبعثتهم على التدبير المُتْقَن لخلع الوليد واغتياله ، ثأراً لدماء زعمائهم المراقة ، وكرامتهم المهدرة ، وسلطتهم الضائعة ، وقضاءً على نفوذ المضرية من قيس وتميم ، الذين أيدوا بنى أمية ، ومَكَّنوهم من اليمنية .

ولبلوغ ذلك لجأ اليمنية فى الشام إلى وسيلتين : الأولى إعلامية دعائية تحريضية ، قصدوا منها إلى استفزاز أبناء عشائرهم ، وإذكاء حميتهم وأنفتهم ، بإثارة العصبية القبلية بينهم وبين القيسية ، فوضعوا على لسان الوليدين يزيد قصيدة طويلة فى تقريع اليمنية وذمهم ، والتَّشفى باندحارهم ، وتَقَلُّص سلطانهم ، وفى تمجيد القيسية ، والافتخار بجبروتهم وعظمتهم ، وسحقهم لليمنية ، وهى تتوالى على هذا النمط(١٥٣) :

أَلَمْ تَهْتَجْ فَتَذَّكِرَ الوِصَالاَ وحَبْلاً كان مُتَّصلاً فَزالا

---

(١٥٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠١ ، وانظر المعارف ص : ٣٩٨ .

(١٥٣) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٤ ، والقصيدة كاملة فى الأخبار الطوال ص : ٣٤٨ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٢ ، ومنها أبيات فى أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠١ ، ٣٢٧ ، والتنبيه والإشراف ص : ٢٨٠ .

بَلَى فالدَّمْعُ مِنْكَ لهُ سِجَامٌ كماءِ المُزْنِ يَنْسَجِلُ انْسِجَالاً
فَدَعْ عنكَ ادِّكارَكَ آلَ سُعْدى فنحنُ الأكثرونَ حَصىً ومَالاً
ونحنُ المالكونَ النَّاسَ قَسْراً نَسُومُهُم المذَلَّةَ والنِّكالا
وَطِئْنَا الأَشْعَرىَ بِعِزَّقَيْس فَيالَكِ وَطْأَةً لن تُسْتَقَالا
وهذا خالدٌ فينا أَسيرا أَلا مَنَغُوهُ إنْ كانوا رِجَالا
عَظِيمُهُم وسيِّدُهُمْ قديماً جعلنا المُخْزِياتِ له ظِلالا
فلو كانتْ قبائل ذاتَ عِزٍّ لما ذَهَبتْ صَنائِعُهُ ضَلالا
ولاَ تركُوهُ مَسْلُوباً أسيراً يُسَامِرُ من سَلاسلنا الثِّقَالا
وكندةُ والسَّكُونُ فَما استَقالُوا ولا بَرِحَتْ خُيولُهمُ الرِّحَالاَ
بها سُمْنَا البَرِيَّةَ كلَّ خَسْفٍ وهَدَّمْنَا السُّهولةَ والجِبالا
ولكنَّ الوَقائعَ ضَعْضَعتهُمْ وَجذَّتْهُم وَردتْهُم شِلالا[١٥٤]
فما زالُوا لَنا أبداً عبيداً نَسُومُهُمُ الَمذَلَّة والسَّفَالا[١٥٥]
فأصبحتُ الغداةَ علىَّ تاجٌ لِمُلْكِ النَّاسِ مايَبْغى انْتِقَالا

ويختلف الإخباريون والمؤرخون فى صاحب القصيدة ، أما رواة اليمنية فيقطعون بأنها للوليد ! وفى ذلك يقول الطبرى مُتَحرِّزاً من روايتهم : «قال الوليد بن يزيد – فيما يزعم الهيثم بن عدى – شعراً يوبخ به أهل اليمن فى تركهم نصرة خالد بن عبد الله»[١٥٦] . ويظهر أن أبا حنيفة الدينورى لم يطَّلع إلاّ على رواية الهيثم بن عدى الطائى ، فأخذ بها ، دون تحفُّظ ، إذ يقول : «فأنشأ الوليد بن يزيد»[١٥٧] ، ثم أنشد القصيدة ، كما اقتصر المسعودى أيضاً على رواية الهيثم بن عدى ، ونقلها عن الطبرى بأكثر ألفاظها ، إذ يقول : «قال الوليد عند ذلك يوبخ اليمن ويقرعها ، ويذكر خالداً ، ويفتخر بنزار فى قصيدة له طويلة»[١٥٨] .

وحمل البلاذرى عن المدائن روايتين ، عزا فى الأولى القصيدة إلى القيسية ، إذ يقول : قال

---

(١٥٤) الشلال : القوم المتفرقون .

(١٥٥) السفال : مصدر سفل يسفل إذا نحط .

(١٥٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٤ ، وانظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠١ . والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٢ .

(١٥٧) الأخبار الطوال ص : ٣٤٨ .

(١٥٨) التنبيه والإشراف ص : ٢٨٠ .

المدائنى : قالها رجل من قَيْسٍ وَنَحلها الوليد . وهو الثَّبْتُ »[١٥٩] . وعَزَا القصيدة فى الرواية الثانية إلى بنى كلب ، إذ يقول : « قال بعض الكلبيين شعراً على لسان الوليد »[١٦٠] . ونقل الطبرى رواية المدائنى الثانية عن أحد تلاميذه فقال : « وأما أحمد بن زهير ، فإنه حَدَّث عن على بن محمد ، عن محمد بن سعيد العامرى ، عامر كلب ، أن هذا الشعر قاله بعض شعراء اليمن على لسان الوليد يُحَرِّضُ عليه اليمانية »[١٦١] . وجزم ابن خلدون بأن القصيدة ليست للوليد ، بل لأهل اليمن ، إذ يقول : « ثم فسدت اليمانية عليه . . . واستعظموا ما كان من بَيْعِهِ خالداً ليوسف بن عمر ، وَصَنعوا على لسان الوليد قصيدةً مُعَيِّرَةً لليمنية بشأن خالد »[١٦٢] .

وعلى الرغم من أن الإخباريين الموثقين كالمدائنى ومن أخذوا عنه كالبلاذرى ، والطبرى ، وابن خلدون يجمعون على أن القصيدة مفتعلة ، لَفَّقها أحد شعراء اليمنية ونَحَلها للوليد ، فإن أسلوب القصيدة يرجح أنها ليست للوليد ، فهو أسلوب جزل مصقول سهل ، لا التواء فيه ولا خشونة ولا غرابة ، مما يخالف أسلوب الوليد فى شعره الفخرى ، الذى يتصف بقلة التنقيح والتهذيب وببعض العوج والقلق ، وتَنْتَثِرُ فيه أوابد الألفاظ وشواردها ، ويشيع فيه وَحِشى الكلام ومهجوره .

وربما كانت القصيدة من صُنْعِ عِمران بن هلباء الكلبى الحمصى ، الذى نقضها ، وَتَمَدَّح بعز أهل اليمن ، وَتَنَفَّج بنصرتهم لبنى أمية وملكهم ، وبمكافحة القبائل اليمنية الشامية أبناء القبائل اليمنية العراقية وزعماءها الذين ثاروا ببنى أمية ، كعبد الرحمن بن الأشعث ، ويزيد بن المهلب ، وتَوَعَّد القبائل القيسية بالفناء ، والثأر منها لخالد ، فإن أسلوب النقيضة[١٦٣] ، يشبه فى الصفاء والسلاسة والنصاعة أسلوب القصيدة المنسوبة إلى الوليد .

وساهم منصور بن جمهور الكلبى فى تحميس القبائل اليمنية ، وحثِّها على تقويض حكم بنى أمية ، متهماً لهم بالطغيان والعدوان ، ودامغاً خلفاءهم المتأخرين بأنهم ولدان وغلمان ، ومنددا بسياستهم ، وفتكهم برؤساء اليمنية ، وتقريبهم للمضرية ، يقول[١٦٤] :

يا قوم لا تُغْلَبُوا عن رأْيكم فلقدْ جَرَّبْتُمُ الغَدْرَ من أولادِ مَرْوَانا

---

(١٥٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠١ .

(١٦٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٧ .

(١٦١) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٤ ، وانظر الكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٢ .

(١٦٢) تاريخ ابن خلدون ، المجلد الثالث ، القسم الأول ص : ٢٢٧ .

(١٦٣) انظرها فى تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٦ ، ومنها أبيات فى أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠١ .

(١٦٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٠١ .

ما زَالَ مُذْقَتَلُوا عَمْراً بِغَدْرِهِمُ يَدْعُون غَدْراً بِعهدِ الله كيسانا
حَتَّى اسْتَبَاحُوا سَنَامَ الأرضِ مملكةً قَسْراً فَوَلَّوْا أمورَ الناسِ صِبْيَانا
وَوَحَّشُوا بكتاب اللهِ واتَّخَذُوا هَواهُمُ فى مَعاصِى اللهِ قُرْبانا
ألا تَرَى مُضَراً أَضْحَتْ تُثِيرُ مَعاً حَرْباً وَضَرْباً شتات الأمرِ وجدانا
يُقَطِّعُونَ بنا أعناقَ سَادَتِنا ويُعْلِقُونَ بنا أثوابَ دُبْيَانَا

وناصر اليمنية فى حَمْلَتهم الإعلامية الدعائية التحريضية على الوليد وبنى أمية بعض شعراء ربيعة ، مثل حمزة بن بيضٍ الحنفى الكوفى . وقد دفعه إلى مناصرتهم أنه كان يَتَعَصَّب لهم ، لمخالفتهم قومه فى البصرة وخراسان ، وأنه كان يتحزب على المضرية ، فقد كان كالمنقطع إلى المهلب بن أبى صفرة وولده ، ثم إلى أبان بن الوليد ، وبلال بن أبى بردة[١٦٥] ، ومدح سليمان بن عبد الملك لأنه استعان بالمهالبة ، وانتصف لهم من القيسية[١٦٦] . وكان يحسد الكميت بن زيد الأسدى ، لأنه مدح مخلد بن يزيد بن المهلب بخراسان ، ونال منه جوائز عظيمة ، وكان يقول : «أنا والله أولى من الكميت بما ناله من مخلد بن يزيد ، وإنى لَحَلِيفُهُ وناصره فى العصبية على الكميت وعلى مضر جميعاً»[١٦٧] .

وأنشد البلاذرى لحمزة قطعة رمى فيها الوليد بالحمق والانحراف ، والظلم والمجانة ، وارتكاب المعاصى ، والإلحاد ، وزعم أنه تَنَصَّر ، وزاد على رؤساء النصارى فى كفره وخلاعته ، يقول[١٦٨] :

يا وليدَ الْخَنَا تركت الطَّريقا واضحاً وارتكَبْتَ فَجًّا عَمِيقَا
وتَادَيْتَ واعـتَـديْتَ وأَسْـرَفْـ ـت وأَغْويتَ وانبَعَثْتَ فُسُوقا
أبداً هاتِ ثُمَّ هاتِ وهاتى ثم هاتى حتَّى تَخرَّ صَعِيقاً
أنتَ سكران ما تُفِيقُ فما تَرْ تُقُ فَتْقاً وقد فَتَقْتَ فُتُوقا
جَاثَليقٌ أَسْقَفٌ كُفْرٍ وفِسْقٍ ثم فُقْتَ الأَسْقَفَ والجَاثليقا

وأنشد له بيتين آخرين يستقبح فيهما سياسة الوليد ، لكثرة ما أصاب الناس فى عهده من الأذى ، ويتمنى أن يعود هشام إلى حكمهم على ماكانوا يقاسون فى أيامه من شِدَّة ، يقول[١٦٩] :

وَصَلْتَ سماءَ الضُّرِّ بالضُّرِّ بَعْدَما زَعَمْتَ سماء الضُّرِّ عَنكُمْ سَتُقْلِعُ

---

(١٦٥) الأغانى ١٦ : ٢٠٢ ، ونهاية الأرب ٤ : ٦٥ .

(١٦٦) الأغانى ١٦ : ٢١٠ .

(١٦٧) الأغانى ١٦ : ٢١١ .

(١٦٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٨ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٣ .

(١٦٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٦ ، والأغانى ٧ : ٢٢ ، وتاريخ الموصل ص : ٥١ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٣ .

فليت هشاماً كان حيًّا يَسُوسُنا وكُنَّا كما كُنَّا نَخافُ ونَطْمَعُ

فألهبت هذه القصائد التى تصايح بها شعراء اليمنية وأحلافهم من الربعية عواطف اليمنية ، وفجَّرت نقمتهم على الوليد والمضرية ، إذ يقول أبو حنيفة الدينورى واصفاً أثَر القصيدة الأولى فى اليمنية : «لما سمع من كان بأقطار الشام من اليمانية هذا الشعر أَنِفُوا أَنَفاً شديداً ، فاجتمعوا من مدن الشام ، وساروا نحو الوليد بن يزيد»[١٧٠] .

وأما الوسيلة الثانية التى لجأ إليها اليمنية فى الشام فهى التخطيط السرى المنظم للثورة بالوليد . فجعلوا يبحثون عن زعيم يثقون به ، ويشاركهم آلامهم وآمالهم ، بعد أن استنكف خالدبن عبد الله القسرى عن قيادتهم ، وخذلهم قبل هلاكه ، فوجدوا فى يزيد بن الوليد بن عبد الملك الزعيم المنشود ، إذ كان حانقاً على الوليد مِثْلَهم ، وكان يُفتِّش عن أنصار مخلصين ، وزاد من اطمئنان اليمنية إليه ، وإقبالهم عليه أنه كان مُصْهراً إليهم ، فقد كان متزوجاً امرأة منهم اسمها هند بنت زبان الكلبى[١٧١] ، وكان له منها ثلاثة أبناء هم أبوبكر ، وعبد المؤمن ، وعلى[١٧٢] . فأتاه رؤساء اليمنية ، وفاوضوه فى خلع الوليد ، والمبايعة له بالخلافة[١٧٣] ، فوافقهم ، وتعاهدوا على أمرهم . ويحتفظ المؤرخون بأسماء كثيرين منهم ، ممن تَرَدَّدُوا على يزيد ، وشجعوه على الثورة ، منهم منصور بن جمهور الكلبى ، «وكان أعرابيًّا جافياً غيلانيا ، ولم يكن من أهل الدين ، وإنما صار مع يزيد لِرَأْيِهِ فى الغيلانية ، وحمية لقتل خالد ، فَشَهِدَ لذلك قتل الوليد»[١٧٤] . وكان المعتدلون من سادة اليمنية يعرفون عصبيته القبلية ، وينتقدون يزيد بن الوليد ، لأنه اصطنعه ، واستعمله على العراق مكافأة له على مساهمته فى قتل الوليد ، فقد قال يزيد بن حَجْوَة الغسانى ليزيد بن الوليد ، وقد سمع بإرساله منصوراً إلى العراق : «يا أمير المؤمنين ، أَوَلَّيْتَ منصوراً العراق ؟ قال : نعم ، لِبَلائِه وحُسْنِ مَعونته ! قال : يا أمير المؤمنين ، إنه ليس هناك فى أعرابيته وجفائه فى الدين»[١٧٥] ! . وكان منصور يكره القيسية وخلفاء بنى أمية الذين يُقَدِّمُونهم وينتصرون بهم كُرْهاً بعيداً ، فآثر الخضوع للخوارج على الخضوع لمروان بن محمد بعد أن قام بالخلافة ، وسيطر على العراق ، فخالف مروان ، وجعل يجبى

---

(١٧٠) الأخبار الطوال ص : ٣٤٨ .

(١٧١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٨ .

(١٧٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٧ .

(١٧٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣١٠ ، ٣٢٨ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٧ ، وتاريخ الموصل ص : ٥٤ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٢ .

(١٧٤) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٧٠ ، وانظر الكامل فى التاريخ ٥ : ٢٩٥ .

(١٧٥) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٧١ .

مَالَ الجبل ، ويحمله إلى شيبان الخارجى وهو بِكرمان . ومضى إلى السند فغلب عليها حتى كانت دولة بنى العباس . وبعث أبو مسلم عامله ، فركب منصور المفازة حتى مات عطشاً»[١٧٦] .

ومنهم طفيل بن حارثة الكلبى الحمصى ، «قدم دمشق ، وكانت له يد فى قتل الوليد بن يزيد ، وكان له فَضْلٌ وخَطَرٌ فى كلب»[١٧٧] . وبشر بن هلباء الكلبى ، «كان من الذين شهدوا قتل الوليد ابن يزيد»[١٧٨] ، وأخوه عمران بن هلباء الكلبى[١٧٩] ، وعبد الرحمن بن مصادر الكلبى[١٨٠] ، وأخوه هشام بن مصادر الكلبى[١٨١] ، وثابت بن سعد الخُشَنى[١٨٢] ، ويزيد بن حَجْوَةَ الغسانى ، «وكان دَيِّناً فاضلاً ، ذا قَدْرٍ فى أهل الشام ، قاتل الوليد بن يزيد دِيَانةً»[١٨٣] ، وحميد بن حبيب اللخمى[١٨٤] .

وانضاف إلى يزيد بن الوليد سائر رؤساء اليمنية الذين كانوا اتصلوا بخالد بن عبد الله القسرى ، واستَنفروه ، وعرضوا عليه أن يَنْضَمَّ إليهم ويَتزعَّمهم للإطاحة بالوليد ، وهم : حُرَيْثُ بن مالك الغسانى ، وأخوه شبيب بن مالك الغسانى ، ويعقوب بن عبد الرحمن الكلبى[١٨٥] ، وحبال ابن عمرو الكلبى ، والأصبغ بن ذؤالة الكلبى[١٨٦] ، وحميد بن نصر اللَّخمى ، والسرى بن زياد السَّكْسكى[١٨٧] .

واعتمد يزيد بن الوليد على رؤساء اليمنية فى مناصرته ، وتأليب الناس على الوليد ، فَدَسَّ الأحنف الكلبى ، ويزيد بن عَنْبَسَةَ السَّكسكى ، وقوماً من ثقاته من وجوه الناس وأشرافهم ، فدعوا

---

(١٧٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٤٠ ، ٣٧٠ .

(١٧٧) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٥٩ .

(١٧٨) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ٢٥٥ . ويسميه ابن عساكر بشيراً ، والصحيح بشر . (انظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٤ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٥١) .

(١٧٩) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٢٥٥ .

(١٨٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية المجلد الثانى ص : ٣٢٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤١ .

(١٨١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٠ .

(١٨٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٠ .

(١٨٣) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٧١ .

(١٨٤) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٣ .

(١٨٥) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٣ .

(١٨٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٠٢ .

(١٨٧) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٠٢ .

الناس سرًّا»[١٨٨]، فبايع له عامة أهل دمشق وأعيانهم من اليمنية إلاَّ معاوية بن مصاد الكلبى، سيد أهل المِزَّة، فسعى يزيد له، وحاوره، ولم يزل به حتى أقنعه بخطته وغايته، وضمن مساعدته[١٨٩]. وكان بعض اليمنية يتتبعون أخبار الناس، ويرصدونها، ويرسلونها إلى يزيد ابن الوليد، إذ يقول عمرو بن مروان الكلبى: «سمعت محمد بن سعيد بن حسان الأردنى قال: كنت عَيْناً ليزيد بن الوليد بالأردن، فلما اجتمع له ما يريد وَلاَّنى خراجَ الأردن»[١٩٠].

فكان للقبائل اليمنية الشامية دورٌ كبيرٌ فى الحث على الثورة بالوليد، دَفَعها إليه انحطاط مكانتها السياسية، وفَتْكُ بنى أمية بالمتمردين من زعمائها، وتَعَاظم سلطان القبائل القيسية فى دمشق والعراق وخراسان. وكان المتسرعون زعماء اليمنية بدمشق يُفَضّلون العمل فى سبيل خلافة يمنيةٍ خالصةٍ. فلما صعب ذلك عليهم، لاذوا بيزيد بن الوليد، واحتشدوا عليه، وعَبَّأوا أنفسهم لمؤازرته. وظلوا ينتظرون اليوم الموعود للخلاص من الوليد، واستعادة نفوذهم المفقود.

٣ - القَدريَّةُ وقَتْلُه

تَحَدَّث المسلمون فى الجبر والاختيار بعد أن انتهوا من الفتح، واستقروا فى منازلهم الجديدة، وهدأوا، وأَخذوا يفكرون، فنشأ بينهم قوم يقولون بحرية الإرادة الإنسانية، وأن البَشَر مُخَيَّرون لا مُسَيَّرون[١٩١]. ويختلف الباحثون فى أصل القول بالقَدَر ومكانه، إذ يذهب بعضهم إلى أن العراق موطنه، فقد ظهر فى حلقة الحسن البصرى، وتَحَدَّث فيه نصرانى عراقى أَسْلَمَ، وأخذ عنه معبد الجُهَنى، وغيلان الدمشقى، ويذهب آخرون إلى أن دمشق مصدره، فإن النصارى الذين كانوا يخدمون فى بيوت الخلفاء الأمويين هو الذين أثاروه وخاضوا فيه.

ومن العسير تحديد الموطن الأول بالقدر، فقد سالَ سَيْلُهُ فى العراق، والشام، والحجاز لهذا

---

(١٨٨) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٧، وانظر أنساب الأشراف، مصورة الجامعة الأردنية، المجلد الثانى ص : ٣٢٨، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٣.

(١٨٩) أنساب الأشراف، مصورة الجامعة الأردنية، المجلد الثانى ص : ٣٢٩، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٠، والأغانى ٧ : ٧٥.

(١٩٠) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٦٧.

(١٩١) فجر الإسلام ص : ٢٨٤.

العصر ، وقال ابن تيمية : إنّ أكثر الحديث فى القدر كان بالبصرة والشام ، وبعضه فى المدينة[١٩٢] .

والراجح أن النصارى فى العراق والشام سبقوا إلى الحديث عن حرية الإنسان ، وجادلوا علماء المسلمين الذين كانوا يميلون إلى مذهب الجبر ، فإن مَعْبداً الجُهَنى التابعى كان أول من تكلموا فى القدر بالبصرة[١٩٣] ، وتَعلَّم معبد على مولى فارسى نصرانى[١٩٤] . وكان القديس يوحنا الدمشقى الذى عاصر معاوية بن أبى سفيان ، وابنه يزيد ، وأدرك أيام هشام بن عبد الملك – أَبْرَزَ من عَرَضُوا لحرية الإنسان ، وناظروا علماء المسلمين بالشام . وَوَضَعَ عَدداً من المؤلفات من أهمها ينبوع الحكمة الذى لخص فيه آراء المشاهير من المؤلفين الكَنَسِيِّين الذين تَقَدَّموه ، وساق فيه مُحَاوَرَتَيْنِ بين مسيحى ومسلم ، أَلَحَّ فيهما على حرية الإرادة الإنسانية ، وكان يَتَوَخَّى من كتابه أن يكون تَسْويغاً للنصرانية ، ومُسْتَنداً لهداية النصارى فى مناقشة المسلمين . ولعل مادته مُسْتَوحاة من المناظرات التى كانت تجرى أمام الخليفة ، والتى كان القديس يوحنا يشارك فيها[١٩٥] .

وأهم مبادئ القَدَرية القول بحرية الإرادة الإنسانية ، وأن البشر مُخَيَّرون غير مُجْبَرين ولا مُقَيَّدين ، يخلقون أفعالهم ويقدرونها[١٩٦] ، ويثابون بها ويعاقبون عليها . ويستفاد من أخبار الجَعْدِ بن درهم[١٩٧] ، وغيلان الدمشقى[١٩٨] ، وهما من القدرية النَّابهين فى عهد هشام بن عبد الملك – أنهما كانا يقولان بِخَلْقِ القرآن ، ونَفْى الصِّفات .

وَيخْتَلِطُ مُصطَلَحُ القدرية بمصطلح المعتزلة ، ويستعمل أحدهما مكان الآخر ، فيسمى المعتزلة قدريةً لأنهم وافقوا القدرية فى قولهم : إن للإنسان قُدْرَةً تُوجِدُ الفِعْلَ بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى ، وأنكروا أن تكون الأشياء بِقَدَرِ الله وقضائه[١٩٩] . ويسمى القدرية معتزلةً ، إذ يطلق المسعودى على القدرية الذين أَيَّدوا يزيد بن الوليد بن عبد الملك اسم القدرية ، فيقول : «كان

---

(١٩٢) فجر الإسلام ص : ٢٨٦ .

(١٩٣) جمهرة أنساب العرب ص : ٤٤٥ ، وميزان الإعتدال ٤ : ١٤١ .

(١٩٤) القدرية فى بلاد الشام ، مقالة مخطوطة لغان إس ، ألقيت فى المؤتمر الدولى لتاريخ بلاد الشام ، الذى عقد فى الجامعة الأردنية سنة ١٩٧٤ ، ص : ٥ .

(١٩٥) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ٢ : ١١٥ .

(١٩٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٣ .

(١٩٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٤١ ، وتاريخ الموصل ص : ٦٣ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٥٠ ، وشذرات الذهب ١ : ١٦٩ .

(١٩٨) الكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٣ .

(١٩٩) فجر الإسلام ص : ٢٨٧ .

خروج يزيد بن الوليد بدمشق مع شائعةٍ من المعتزلة وغيرهم . . . على الوليد بن يزيد»[٢٠٠] ، ويصف يزيد بن الوليد بأنه معتزلى يعتقد بمبادئ المعتزلة ، فيقول : «كان يذهب إلى قول المعتزلة وما يذهبون إليه من الأصول الخمسة من التوحيد والعدل والوعيد والأسماء والأحكام ، وهو القول بالمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر»[٢٠١] .

وَتَخَوَّفَ الخلفاء الأمويون من قولِ القدرية بحرية الإرادة الإنسانية تَخَوُّفاً شديداً ، لأنه فتح الباب إلى نَقْدِهم والحُكْمِ على أعمالهم ، ولأن القدرية نفذوا منه إلى مهاجمة مبدأ الجبر الذى تَسَلَّح به الأمويون فى محاربة خصومهم ، وأضفوا به على خلافتهم هالةً من القداسة ، ورفعوها إلى مرتبة السلطة الإلهية ، كما نفذوا منه إلى مكافحة السياسة الأموية وما قامت عليه من استبداد بنى أمية بالخلافة دون غيرهم من العرب والموالى المسلمين ، «فَعَنَى القول بالقدر روحاً ثورية ، وشكَّلَ خطراً حقيقيا تَهَدَّدَ الفِرَقَ الإسلامية والخلافَة الإسلامية معاً»[٢٠٢] .

وتكشف أخبار القدرية ببلاد الشام فى العصر الأموى عن أنهم كانوا من العرب والموالى ، وأن العرب منهم كانوا من القبائل الربعية واليمنية[٢٠٣] التى فَقَدتِ الأمل فى بنى أمية فى آخر العصر الأموى ، وممن انتحلوا مذهب القدرية من القبائل الربعية أسباط واصل الشيبانى[٢٠٤] ، ولكن أكثر العرب الذين اعتنقوا مذهب القدرية هم من القبائل اليمنية الشامية ، ومنهم معبد الجُهَنى[٢٠٥] ، وثور بن يزيد بن زياد الكلاعى الحمصى[٢٠٦] ، ووهب بن منبه الذى صَنَّفَ كتاباً فى القَدَر[٢٠٧] ، وعمرو بن شراحيل[٢٠٨] ، وعثمان بن داود الخولانى[٢٠٩] . وكان أهل العِزَّةِ الذين بايعوا ليزيد بن الوليد من القدرية الذين يقولون بقول غيلان ، وكان معظمهم من اليمنية[٢١٠] .

وكان رؤساء القدرية فى الشام من الموالى ، منهم صالح بن سويد ، وكان من حرس عمر بن

---

(٢٠٠) مروج الذهب ٣ : ٢٣٩ .

(٢٠١) مروج الذهب ٣ : ٢٣٤ ، وانظر شرح هذه الأصول فى ضحى الإسلام ٣ : ٢١ .

(٢٠٢) القدرية فى بلاد الشام ص : ٥ .

(٢٠٣) انظر جريدة بأسماء القدرية فى المعارف ص : ٦٢٥ .

(٢٠٤) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٤٠٤ .

(٢٠٥) جمهرة أنساب العرب ص : ٤٤٥ .

(٢٠٦) المعارف ص : ٦٢٥ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ٣٨٤ .

(٢٠٧) المعارف ص : ٦٢٥ ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ٢٧ ، ومعجم الأدباء ٧ : ٢٣٢ ، وميزان الاعتدال ٤ : ٣٥٢ .

(٢٠٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٧ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٢ .

(٢٠٩) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٦٧ .

(٢١٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٩ .

عبد العزيز[٢١١] . ومنهم حسان بن عطية ، مولى محارب[٢١٢] ، والجعد بن درهم ، أصله من خراسان ، وهو من موالى بنى مروان[٢١٣] ، وغيلان بن مسلم ، المعروف بغيلان الدمشقى ، وهو مصرى قبطى[٢١٤] . ويرى فان إس أن أكثر مؤيدى غيلان بدمشق كانوا من الموالى[٢١٥] .

ولما كان القدرية يمثلون اتِّجاهاً من اتجاهات المعارضة للخلافة الأموية استقطب عناصر مختلفة من العرب والموالى المتذمرين الساعين إلى الإصلاح الاجتماعى والسياسى ، فإنّ الخلفاء الأمويين تَصَدوا لهم ، وقاوموهم مقاومةً تَنَوَّعت أساليبها ، وتباينت أشكالها ، فقد أمروا الفقهاء والعلماء من أهل السُّنَّة فى دمشق بمجادلة القدرية ، لِدَحْضِ آرائهم ، ونَقْضِ مقالاتهم ، وتطويق دعوتهم ، فحاور ربيعةُ الرَّأْى غيلانَ الدمشقى فى القدر[٢١٦] ، وحاوره فيه ميمون بن مهران[٢١٧] ، والأوزاعى[٢١٨] ، وجادل ميمون بن مهران الجعد بن درهم[٢١٩] . وجادل الخلفاء الأمويون أنفسهم بعض القدرية ، إذ ناظر عُمر بن عبد العزيز غيلانَ الدمشقى ، واستتابه ، وكتب إلى الأمصار بخلاف ما يقول[٢٢٠] ، وناقش عمرُ صالحَ بن سويد فى القدر ونهاه عنه[٢٢١] ، وحاور هشامُ ابن عبد الملك[٢٢٢] غيلان الدمشقى ، لأنه رجع إلى قول بالقدر بعد أن أظهر لعمر بن عبد العزيز أنه كف عنه .

وأوحى الخلفاء الأمويون إلى فقائهم وعلمائهم بتفسير بعض الآيات القرآنية تفسيراً موجهاً يرمى القدرية بضعف العقيدة ، ومن الآيات التى حملوها على مهاجمة القدرية قوله تعالى : «الذين قَالُوا لإخوانِهِمْ وَقَعَدُوا لو أَطَاعُونا ما قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءوا عن أَنْفُسِكُم المَوْتَ إن كُنْتُم صَادِقِين» ، وقوله

---

(٢١١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٦٩ ، ولسان الميزان ٣ : ١٧٠ .

(٢١٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ١٢٤ .

(٢١٣) البداية والنهاية ٩ : ٣٥ .

(٢١٤) المعارف ص : ٦٢٥ ، والقدرية فى بلاد الشام ص : ١١ .

(٢١٥) القدرية فى بلاد الشام ص : ١٣ .

(٢١٦) العقد الفريد ٢ : ٣٧٧ .

(٢١٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٤٦ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٣ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٥٣ .

(٢١٨) العقد الفريد ٢ : ٣٧٩ .

(٢١٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٤١ .

(٢٢٠) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٧ : ٣٨٢ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٣ ، وانظر فجر الإسلام ص : ٢٨٥ .

(٢٢١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٣٦٩ .

(٢٢٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٤٦ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٣ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٥٣ .

تعالى : «قُلْ لو كُنْتُم فى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الذين كُتِبَ عليهمُ القَتْلُ إلى مَضَاجِعِهم» فإنه ينسب إلى ابن شهاب الزهرى أنه قال : إن هاتين الآيتين أنزلها الله على نَبِيِّه فى القدرية[٢٢٣] !

وحاربوا القدرية بوضع الأحاديث التى تَطْعَنُ فى دينهم ، ولمَّا كان الافتعال فى الأحاديث أَيْسَر من التَلْفيق فى تأويل معانى بعض الآيات القرآنية ، وأحسن تعبيراً عن مقاصد الخلفاء الأمويين ، وأكثر تلبيةً لغاياتهم ، فقد صنع فقاؤهم وعلماؤهم أحاديث تَتَّهِمُ القدرية بالكفر والزندقة اتِّهاماً صريحاً !

ومن الأحاديث الزائفة التى تقطع بانسلاخ القدرية من الإسلام ، أو تُنَفِّر العامة عن مخالطتهم ، وتَصُدُّهم عن التعلق بأفكارهم ، ما رواه زكريا بن منظور المَدَنِىُّ القاضى المُحدِّث – وكان مَرَّ بدمشق ونَزَل بها فى طريقه إلى العراق[٢٢٤] – عن أبى حازم عن نافع عن عمر أن النبى ﷺ قال : «القدرية مجوسُ هذه الأمة ، فإن مَرِضُوا فلا تَعُودُوهم ، وإن ماتوا فلا تَشْهَدُوهم» ![٢٢٥] ، وما رواه أُغَيْبِرُ مولى هشام بن عبد الملك ، إذ قال : سمعت الزهرى يقول : «ثلاثة ليسوا من أمة محمد ﷺ ، الجَعْدِىُّ والمَنَّانى والقَدَرى[٢٢٦]» . ومنها حديث رواه عبد الرحمن المقرئ عن أبى هريرة عن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال : لا تُجَالِسُوا أهْلَ القَدَرِ ، ولا تُفَاتِحوهم[٢٢٧]» ، وحديث آخر رواه عبد الرحمن القَصِير فقال : حدثنا يونس عن بلال عن يزيد بن حبيب أن رجلاً قال للنبى ﷺ : يا رسول الله ، أَيَقْدِرُ الله عَلَىَّ الشرَّ ثم يعذبنى ؟ قال : نعم ، وأنت أظلم[٢٢٨]» .

وكافح الخلفاء الأمويون القدرية بالاعتقال والنفى والإعدام حين خُيِّل إليهم أنَّ شرَّ القدرية استفحل ، وأخذ ينذر بِخَطرٍ عظيم ، فمنذ أواخر عهد عبد الملك بن مروان كان القدرية يهاجمون ، وربما تكون مهاجمتهم بدأت قبل عهده[٢٢٩] ، ومع أن عبد الملك قَرَّبَ مَعْبَداً الجُهَنِىَّ ، وَغَمرهُ بِثِقَتِه فَجَعله مُعَلماً لابنه سعيد ، وأرسله سفيراً إلى البلاط البيزنطى ، فإنه لم يَتَورَّع عن الإذن فى قتله عندما ثار عليه[٢٣٠] . فَقَتَلَهُ الحجاج صَبْراً لخروجه مع عبد الرحمن بن الأشعث[٢٣١] .

(٢٢٣) العقد الفريد ٢ : ٣٧٨ .
(٢٢٤) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٣٨٢ .
(٢٢٥) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٣٨٢ .
(٢٢٦) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣ : ٨٤ .
(٢٢٧) العقد الفريد ٢ : ٣٨١ .
(٢٢٨) العقد الفريد ٢ : ٣٨١ .
(٢٢٩) القدرية فى بلاد الشام ص : ٩ .
(٢٣٠) القدرية فى بلاد الشام ص : ٩ .
(٢٣١) ميزان الاعتدال ٤٨ : ١٤١ .

وجَاهَدَ هشامُ بن عبد الملك القدرية بغير هوادة أو لين ، فحبس جماعة منهم من اليمنية ، ونفاهم إلى دهلك[٢٣٢] ، وأعدم غير واحد من رؤساء القدرية . إذ أَمَرَ بِغَيْلاَنَ الدمشقى فقطعت يداه ورجلاه ، ثم أَمَرَ به فَصُلب[٢٣٣] ، لأن غيلان كان يرجو أن يَمْضى هشام فى المساواة بين العرب والموالى ، التى بدأها عمر بن عبد العزيز ، فانتقد هشاماً لِتَبَاطُئه فيها[٢٣٤] ، وجَرَّده من حق السلطة الإلهية فى أرمينية ، فظن هشام أنه فكر فى الوثوب به[٢٣٥] . وقَتَل هشام صالح بن سويد[٢٣٦] ، وقَيَّدَ الجعدَ بن درهم ، ودفعه إلى خالد القسرى ، وأمره بإعدامه ، فَذَبحه ذبحاً[٢٣٧] .

وكان القدرية يَتَوَقَّعون أن يتسامح الوليد بن يزيد معهم ، وأن يفرج عن المعتقلين منهم ، تَرضيةً لهم ، ومتابعةً لخطته الإصلاحية السياسية ، غير أنه خَيَّب رجاءهم ، فإنه كان حفيظاً على أن تبقى الخلافة فى بنى أمية ، ولم يكن يجيزُ أن تَخْرُجَ منهم إلى غيرهم ، وهو وإن خالف إجماع الخلفاء السابقين بمبايعته لابنه الحكم بولاية عهده ، وهو ابن أمة ، فإنه لم يكن يريد أن يمضى إلى أبعد من ذلك ، وكان القدرية يسعون أن تصبح الخلافة حقا لجميع المسلمين من العرب والموالى ، فقاومهم الوليد بحزم ، إذ يروى المدائنى عن يزيد بن مصاد الكلبى ، عن عمرو بن شراحيل ، قال : «سَيَّرنا هشام إلى دَهْلَك ، فلم نزل بها حتى مات ، واستخلف الوليد ، فكَلَّم فينا فَأَبَى وقال : والله ما عمل هشام عَملاً أَرْجَى أن تَنَالَهُ به المغفرة من تسييره هؤلاء ، وقَتْلِهِ القدرية ، يَعْنِى غيلانَ وصاحبه[٢٣٨] » .

فقرر القدرية الانقضاض على الوليد ، فاتصلوا بيزيد بن الوليد ، وكان فيما يتفق عليه أكثر من ترجموا له – يدين بمذهب القدرية[٢٣٩] ، وربما ساقه إليه رَغْبَتُه فى الإصلاح الاجتماعى والسياسى ، فالتقى مع القدرية فى هذا الهدف الذى كانوا يناضلون من أجله ، إذ كان يزيد ابن أَمَةٍ

---

(٢٣٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٧ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٢ .

(٢٣٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٤٦ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٠٣ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٣ ، ولسان الميزان ٣ : ١٧٠ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٥٣ .

(٢٣٤) القدرية فى بلاد الشام ص : ١٠ .

(٢٣٥) القدرية فى بلاد الشام ص : ١٢ .

(٢٣٦) لسان الميزان ٣ : ١٧٠ .

(٢٣٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٢٤١ ، وتاريخ الموصل ص : ٦٣ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٦٣ ، والبداية والنهاية ٩ : ٣٥٠ ، ١٠ : ١٩ ، وشذرات الذهب ١ : ١٦٩ .

(٢٣٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٧ ، وانظر تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٢ .

(٢٣٩) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٩٨ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٣٤ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٣١٠ ، وتاريخ الإسلام ٥ : ١٨٩ ، ودول الإسلام ١ : ٦١ ، والعبر فى خبر من غبر ١ : ١٦٢ ، ومرآة الجنان ١ : ٢٦٤ .

فارسية[٢٤٠] ، ولم يكن له من المنزلة فى الأسرة المروانية ماكان لغيره من أبناء الخلفاء من الحرائر العربيات ، فَحُرِمَ هو وإخوته وسواهم من الأمراء الأمويين من أبناء الأعجميات من الخلافة ، فمال إلى القول بالقدر ، وأظهر غير قليل من الزُّهْدِ والتَّقْوَى والتَّأَلُّه[٢٤١] ، فاطمأن إلى القدرية ، واطمأنوا إليه ، فقد أَلَّف بينهم المذهب الواحد ، والهدف المشترك ، وَوَالاهُ وَظَاهَرهُ أحياؤُهم الذين خَفِيَ أمرهم على هشام بن عبد الملك ، فلم يعتقلوا ، ولم يقتلوا كحسان بن عطية ، مولى محارب[٢٤٢] ، وأسباط بن واصل الشيبانى[٢٤٣] ، وكثيرين من اليمنية من أهل المِزَّة الذين اعتنقوا مذهب القدرية[٢٤٤] ، لأنه يَفْسَحُ الأمل لهم . ويَسْمَح لهم ولغيرهم من المسلمين بِتَوَلِّى الخلافة ، ويتيح لليمنية استرداد نفوذهم الضائع !

وبَثَّ يزيد بن الوليد بعض القدرية فى نواحى الشام ، ليُحثُّوا الناسَ على تأييده ومبايعته ، وَيَحُضُّوهم على المناداة بخلع الوليد وسَفْك دمه . ومن القدرية الذين نهضوا باستعداء الناس على الوليد أسباط بن واصل الشيبانى ، وله أبيات «يذكر فيها غَيْبَتَهُ عن قَتْلِ الوليد ، وأنه لم يحضره ، وكان قبل ذلك يُعَدُّ من المُتحاملين عليه والدَّاعين إلى قِتَالِه وقَتْلِه» ، ويصرح بأنه لم يشارك فى محاربته ، لأنه كان مشغولاً بتأليب الناس عليه ، يقول[٢٤٥] :

مَرَرْتُ بحيثُ قَضَى نَحْبَهُ فكادَ يُشَيِّبُ مِنِّى القَذَالا
لِذِكْرى وَقِيعَتِهِ إذْ مَضَتْ ولمْ أَكُ باشَرْتُ فيها قِتَالا
فإنْ أكُ غُيِّبْتُ عنها فما تَغَيَّبَ قَلْبِى ولا كان مَالا

وظاهر أن القدرية بادروا إلى يزيد بن الوليد ، وآزروه فى تَدْبيره للثورة بالوليد ، لأنه جَاهدهم ، وجَدَّدَ حَبْسَ المعتقلين منهم ، واعْتَبَرَ قولهم بحرية الإرادة الإنسانية تَحَدِّياً للخلافة الأموية ، ولمذهب الجبر الذى اعتنقه الخلفاء الأمويون ، وانتصروا به لأنفسهم وسلطانهم ، فشايعوا يزيد بن الوليد القدرى ، ونشطوا فى تحريض الناس على الوليد ، وظلوا يستوعبون أعداءه ، وَيتكَتَّمون على أمرهم

---

(٢٤٠) تاريخ الطبرى ٦ : ٤٧٦ ، ٧ : ٢٩٨ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٣٩ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٢٨٩ والبداية والنهاية ١٠ : ١٦ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥٢ .

(٢٤١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٧ ، ٢٣٨ ، والفخرى فى الأولب السلطانية ص : ١٢٢ ، ودول الإسلام ١ : ٦١ ، والعبر فى خبر من غبر ١ : ١٦٢ ، والبداية والنهاية ١٠ : ١٦ .

(٢٤٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤ : ١٤٢ .

(٢٤٣) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٤٠٤ .

(٢٤٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٩ ، ٣٣٠ .

(٢٤٥) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢ : ٤٠٤ .

انتظاراً ليوم الثورة المرتقب . فكان لهم دورٌ بارزٌ فى الدعوة لعزل الوليد واغتياله . ويؤكد مروان بن محمد أنهم هم الذين تآمروا بالوليد ، وغدروا به ، إذ يقول فى رسالته التى وَجَّهَها إلى الغمر بن يزيد بعد مقتل الوليد : «ولم أشْبِهْ محمداً ولا مروان إنْ لم أُشمر للقدرية إزارى ، وأضربهم بسيفى جارحاً وطاعناً ، يَرْمى قضاءُ اللهِ بى فى ذلك حيث أخذ ، أو يرمى بهم فى عقوبة الله حيث بلغ منهم فيها رضاه ، وما إطْراق إلاَّ لما أَنْتَظِرُ مما يأْتينى عنك ، فلا تَهِنْ عن ثأرك بأخيك ، فإن الله جارك وكافيك ، وكفى بالله طالباً ونصيراً[٢٤٦] » ، ويوافقه فيما ذهب إليه المسعودى[٢٤٧] ، وابن عساكر[٢٤٨] .

٤ – عَزْلُهُ وقَتْلُه

يدل ما بقى من شعر الوليد الصحيح الذى رواه المدائنى على أنه علم بتدبير يزيد بن الوليد وغيره من بنى أمية للإطاحة به ، فاستصغرهم ولم يكترث بهم ، وأخذ يتحداهم ويفاخرهم سائلاً لهم أن يهبوا لملاقاته ، ويرسلوا إليه فرسانهم إن كانوا صادقين فيما يشيعوه ، حتى يفتك بهم ، ويقضى عليهم ، فإنه يقول مستهيناً بقومه وقد بلغه مَشْىُ بعضهم إلى بعضٍ فى خلعه[٢٤٩] :

سَلِّ هَمَّ النَّفْسِ عنها ... بِعَلَنْدَاةٍ عَلاةِ[٢٥٠]
تَتَّقِى الأرضَ وتَهْوى ... بِخِفافٍ مُدْمَجاتِ
ذاك أمْ ما بالُ قَوْمى ... كَسَروا سِنَّ قَناتى
واسْتَخَفُّوا بى وصَارُوا ... كَقُرودٍ خاسِئاتِ
أصبحَ اليومَ وليدٌ ... هائماً بالفَتَياتِ
عِنْدَهُ راحٌ وإبْرِيـ ... ـقٌ وكأْسٌ بالْفَلاةِ
إبْعَثُوا خيلاً لَخَيْل ... ورُماةً لِرُماةِ

---

(٢٤٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٨٢ .

(٢٤٧) مروج الذهب ٣ : ٢٣٩ .

(٢٤٨) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ، رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٤ و .

(٢٤٩) الأغانى ٧ : ٧٤ ، واظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢١ .

(٢٥٠) العلنداة : الناقة الضخمة الطويلة . والعلاة : الناقة الطويلة الجسيمة .

وكان يزيد بن الوليد فطناً لبيقاً يجيد تقدير الأمور ، والتأنى لها ، واختيار الوقت المناسب لتنفيذها ، فاحتوى الجماعات الأموية واليمنية والقدرية المناهضة للوليد ، ووعدها بِحَلِّ مشاكلها ، وتحقيق مطالبها ، فَشَدَّت من عَزْمِه ، وشَدَّ من عزمها ، ونَظَّمها وأحسَن استغلالها وأعدها حتى تسنح الفرصة للانقلاب على الوليد ، وظلَّ يَتَحين الظرف حتى أمكنه فأعلن الثورة على ابن عمه ، إذ اقتحم دمشق والطاعون فاشٍ فيها[١٥١] ، والخليفة وكبار موظيفه بعيدون عنها ، فإن الوليد رحل عن دمشق لأنه كان مريضاً ، وقصد الأزرق ببادية الأردن ، وأقام بقصر الطُّوبة للعلاج والاستشفاء والاستجمام[١٥٢] ، وخافَ الوباءَ عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف الثقفى عامل خراج دمشق وجندها ، فخرج عنها ، ونزل قَطَنا من قراها ، واستخلف على دمشق ابنه ، وجعل على شرطته أبا العاج كثيربن عبد الرحمن السلمى[٢٥٣] . وكان العباس بن الوليد بن عبد الملك مُتَبَدِّياً بالقَسْطل بين حمص ودمشق[٢٥٤] ، وكان يزيد مُبتَدِّياً بمقربة من حمص ، فانتهز هذه الفرصة ، وأقبل إلى دمشق مُتَنكِّراً فى سبعة نَفَرٍ على حمير ، فنزلوا بِجَرُود من قرى غُوطَةِ دمشق ، فأتاهم مولى لِعَبَّاد بن زياد بن أبى سفيان بِقِرًى ، فَتَعَشوا ، ثم دخلوا دمشق سرا ، وقد بايع ليزيد أكثر أهلها ، وبايع له أهل المزَّة من قُرى دمَشق ، وأكثرهم غَيْلانية ، ولم يخالفه منهم إلا معاوية بن مصاد الكلبى ، فمضى يزيد إليه من ليلته ، ولم يُفَارِقْهُ حتى وافقه ، فرجع إلى دمشق على حمار ، ونزل دار ثابت بن سليمان بن سعد الخُشَنى[٢٥٥] . ومع أن يزيد قدم دمشق مُتخفياً ، وتكتَّم على تَحركه وَتَنقُّله بها ، فإن أبا العاج السُّلمى قائد شرطتها أُخْبِرَ بأنه أجمع على الخروج ، فلم يُصَدِّق ، لأنه كان فى خُمَارٍ شديد[٢٥٦] !

وأرسل يزيد إلى أصحابه أن يأتوا إليه بين المغرب والعشاء من ليلة جمعة ، فكمنوا عند باب الفراديس بدمشق حتى أرخى الظلام أستاره ، فدخلوا المَسْجِدَ فَصَلَّوا . وكان للمسجد حَرَسٌ وُكِّلُوا

---

(٢٥١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٨ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٧ .

(٢٥٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٤ .

(٢٥٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٠ ، والأغانى ٧ : ٧٦ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٤ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٩ .

(٢٥٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٨ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٧ ، والأغانى ٧ : ٧٥ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٣ ، والبداية والنهاية ١٠ : ٩ .

(٢٥٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٠ .

(٢٥٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٢٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٠ ، والأغانى ٧ : ٧٦ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٤ .

بإخراج الناس منه بالليل ، فلما صلى الناس صاح بهم الحرس ، فتباطأ أصحاب يزيد ، وجعلوا يخرجون من باب المقصورة ، ويدخلون من باب آخر ، حتى لم يبق فى المسجد غير الحرس وأصحاب يزيد ، فأخذوا الحرس ، ومضى يزيد بن عَنْبَسة السَّكْسكى إلى يزيد ، فأخذ بيده ، وقال : «قُمْ يا أمير المؤمنين راشداً مهديا ، وأبشر بِعَوْنِ الله ونَصْرِه» ، فقام وقال : «اللهم إن كان هذا لك رِضاً فأَعِنِّى عليه ، وسَدِّدْنى فيه ، وإن لم يكن رِضاً فَاصْرِفْهُ عنى بموتٍ عاجل» ، وسار فى اثنى عشر رجلاً إلى المسجد ، وفى طريقه إليه تكاثف أصحابه فبلغوا ستين ومائتى رجل ، فلما وصل المسجد خَدَعَ أصحابه خَدَم المقصورة ، وكانوا أغلقوا بابها ، فَدَقَّه أصحاب يزيد وقالوا : رُسُلُ الوليد بن يزيد ، أمير المؤمنين ! ففتحه لهم خادم ، فأخذوه ، ودخلوا المقصورة ، وقبضوا على أبى العاج السلمى وهو سكران ! واحتجزوا خُزَّانَ بيت المال ، وصاحب البريد .

وفى الليلة نفسها شَرَعَ يزيد فى اعتقال عمال الوليد فى القرى والمدن المجاورة لدمشق ، فبعث بعض أنصاره إلى بَعْلَبك ، فقبضوا على عاملها محمد بن عبيدة مولى سعيد بن العاص ، وأرسل بعضهم إلى قَطنا ، فاعتقلوا عبد الملك بن محمد بن الحجاج بن يوسف الثقفى ، وقَضَى يزيد ليلته فى المسجد الأموى ، وأمر أنصاره بحراسة أبواب دمشق ، وَمنْعِ الناس من دخولها ، إلاَّ من نادى منهم بِشِعارِه . وأصاب يزيد وأصحابه سلاحاً كثيراً ، ولم ينتصف يوم الجمعة حتى بايع الناس له ، وخلعوا الوليد[٢٥٧] ، فقد توافد على يزيد أهل المِزَّة فى ألف وخمسمائة مع عبد الرحمن بن مصاد الكلبى ، والسَّكاسك فى نحو ثلثمائة ، ثم أقبل يعقوب بن عُمَيْر بن هانئ العبسى فى أهل دَارَيَّا من قُرَى غُوطَةِ دمشق ، وعبسى بن شبيب التَّغْلَبى فى أهل دُومة من قُرَى غوطة دمشق ، وأَهْلَ حَرَسْتَا من قُرَى دمشق على طريق حمص ، وحميدُ بن حبيب اللخمى فى أهل دَيْرِ المُرَّان بالقرب من دمشق ، وأهل أَرْزُونا[٢٥٨] من قرى دمشق ، وأهل سَطْرَا من قرى دمشق ، والنَّضْرُ بن الجرشِ فى أهل جرش ، وأهل الحَدِيثة من قرى غُوطَة دمشق ، وأهل دَيْر زَكَّى من غُوطة دمشق ، وَربَعِىُّ بن هاشم الحارثى فى الجماعة من بنى عُذْرةَ وَسلامَان ، وجُهَيْنَة ومن وَالاَهُم مع طلحة بن سعيد[٢٥٩] .

ثم استَدْعَى يزيدُ ابنَ عمه عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، وأمره أن يَقِفَ بباب الجَابِيَة ،

---

(٢٥٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٠ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤١ ، والأغانى ٧ : ٧٦ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٥ .

(٢٥٨) فى تاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٢ : الأرزة ، والصحيح أرزونا . (انظر معجم البلدان ١ : ٢٠٦) .

(٢٥٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٠ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٢ ، والأغانى ٧ : ٧٧ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٥ .

ويحرسه ، وأمر يزيد إخوته أن يَتَفَرَّقوا فى الناس وَيحضُّوهم على الحضور إليه ، ويُغْرُوهم بالمال ، إذ أمرهم أَنْ ينادوا : من كان له عطاء فَلْيَأْتِ لِيقبِضَ عطاءه ومن لم يكن له عطاءٌ فله ألف درهم معونة[٢٦٠] ، وفَتحَ بيت المال ، وأعطى الناس ، وجاءت أموال الكُوَرِ فَوَزَّعها وتَألَّف الناس بها[٢٦١] .

وواضح أن الذين خَفُّوا إلى يزيد ، والتفوا حوله عندما أعلن الثورة هم من إخوته ، وأبناء عمه الحجاج بن عبد الملك ، ومن اليمنية والقدرية ، كما انضم إليه بعض العبسيين ، وكانوا ناقمين على الوليد ، لأنه أَعْدَمَ أربعة منهم[٢٦٢] أَيَّدُوا هشاماً فى إقصائه عن ولاية العهد ، وعَنُفَ بسادتهم فى دمشق ، وضيق عليهم . ولكن المؤرخين لم يذكروا أن العبسيين اتصلوا بيزيد فى المرحلة السرية من دعوته .

وحينما فَرَغ يزيد من احتلال المسجد الأموى ليلة الجمعة ، واستولى على السلاح والمال ، واعتقل أنصار الوليد وموظفيه ، وَرَابَطَ جنده على أبواب دمشق ، وحَظَر على الناس الدخول إليها والخروج منها والتَّجول بها إلا إذا كانوا من شيعته ، وتَسَارَع إليه أصحابه صبيحة يوم الجمعة ، ولم يزالوا يتسارعون حتى تَوَافَوْا وتكاملوا عند منتصف النهار ، فَفَرَّق فيهم أرزاقهم ، وأعطى من لم يكن منهم مُسَجَّلاً فى الديوان ، وأَغْدَق الصلات والجوائز على اليمنية خاصة[٢٦٣] – انتدب الناسَ إلى قتال الوليد . وتَمَلَّقَهم بالمال ، فنادى مناديه : من يَنْتَدِبُ إلى الفاسق وله ألف درهم ! فاجتمع إليه أقل من ألف رجل ، فأمرَ رجلاً آخر فَنادى : منَ يْنتَدِبُ إلى الفاسق وله ألف وخمسمائة درهم ! فجاءه ألف وخمسمائة رجل . ويقال : إنه نَدَبَهم إلى ألفين ألفين ، فأتاه ألفان[٢٦٤] ، فَعَقَد لمنصور ابن جمهور الكلبى على طائفة ، وعقد ليعقوب بن عبد الرحمن بن سليم الكلبى على طائفة ثانية ، وعقد لهرم ابن عبدالله بن دُحَيَّة الكلبى على طائفة ثالثة ، وعقد لحميد بن حبيب اللخمى على طائفة رابعة . وكان فى من سار لقتال الوليد الأصبغ بن ذؤالة الكلبى ، وشبيب بن أبى مالك الغسانى ، ورَأَّسَ يزيد

---

(٢٦٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٠ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٣ ، والأغانى ٧ : ٧٨ .

(٢٦١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣١ .

(٢٦٢) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٣٧ .

(٢٦٣) الأخبار الطوال ص : ٣٤٩ .

(٢٦٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣١ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٣ ، والأغانى ٧ : ٧٨ .

عليهم عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك[٢٦٥] .

وكان الوليد لا يزال بقصر الطُّوبَة بالأزرق من بادية الأردن ، لا يعلم بما حَدَث فى دمشق . فخرج إليه مَوْلى من مواليه على فرس له ، فأتاه من يومه ، وأخبره بتَمرُّد يزيد عليه ، فاضطرب ، وضرب مولاه مائة سوط وحبسه[٢٦٦] . ثم بَدَأ يخطط لمواجهة الثائرين به ، وكان أول ما صنع أن دعا أبا محمد السفيانى ، فأجازه وَجهزه وَوَجَّهه إلى دمشق ، فسار أبو محمد السفيانى ، فلما انتهى إلى ذَنَبَة قرب دمشق أقام ، فبعث يزيد إليه عبد الرحمن بن مصاد الكلبى ، فسأله أبو محمد ، وبايع ليزيد مُرْغَماً[٢٦٧] .

وبلغ الوليد انهيار أبى محمد السفيانى ، وانضمامه إلى يزيد ، فازداد موقفه حرجاً ، وقد احتفظ البلاذرى بقصيدة له صور فيها لومه للمقاتلين الذين أرسلهم مع أبى محمد السفيانى ، لأنهم أحجموا عن منازلة أعدائه ، وألقوا سلاحهم ، واستسلموا ليزيد ، وبايعوه ، وكان وثق بهم وَبصرهم بما يأتون وما يَتْركون ، فَخَذلُوه وَخيبوا أمله ، ولم يعملوا بما أوصاهم به ، فجروا عليه ، وعلى أنفسهم ، وعلى الأمة البلاء والشقاء . واعتد فيها بقوته وفروسيته ، وأنه بطل مغوار لا يخاف الأهوال ، ولا يرهب المهالك ، وأعلن أنه لن يستكين ولن يهدأ حتى يهزم الخارجين عليه ، يقول[٢٦٨] :

يا وَيْحَ جُنْدى الأُلَى خارُوا وما نَظَرُوا ... فى غِبِّ أمرِ عَمُودِ الدِّين لَوْ وَقعا[٢٦٩]

أَلْقَحْتُها ثُمَّ شَالَتْ عاقداً أُنُفاً ... ما نَتَّجوُها فَيَلْقَوْا تَحْتَها رُبَعَا[٢٧٠]

ولا ارْتَقَوْا مِنْ صَمِيمِ المَحْضِ آونةً ... لكنهمْ يَحْتَسُونَ الصَّابَ والسَّلعا[٢٧١]

ما كنتُ أَجْزَعُهُمْ من عَرْكَ كَلْكَلها ... حتى تَدِرَّ نَجِيعاً أحمراً دُفَعَا[٢٧٢]

---

(٢٦٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣١ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٣ ، والأغانى ٧ : ٧٨ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٢ و .

(٢٦٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٣ .

(٢٦٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣١ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٣ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٢ و ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر ٥ : ٤٠٣ .

(٢٦٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣١ .

(٢٦٩) غب الأمر : عاقبته وآخره .

(٢٧٠) شالت الناقة : رفعت ذنبها للقاح . والعاقد : الناقة التى تعقد بذنبها عند اللقاح . والأنف : التى حملت لأول مرة . والربع : الفصيل الذى ينتج فى الربيع .

(٢٧١) المحض : اللبن الخالص بلا رغوة . وارتقوا : امتلأت بطونهم شبعاً . والصاب : شجر مر واحدته صابة ، وقيل هو عصارة الصبر . والسلع : نبات أو شجر مر .

(٢٧٢) النجيع : الدم الطرى المصبوب .

مِنْ كُلِّ لَيْثٍ شَتِيمِ الوَجْهِ ذَى زَبَدٍ ضِرْغَامَةٍ يَحْذَرُ الآسادُ ماصَنَعا[٢٧٣]
غَضَنْفَرٍ أهرتِ الشِّدْقَيْنِ قَسْوَرَةٍ كأنَّه ظَالِع نَقْباً ومَا ظَلَعا[٢٧٤]
يَلْقَاكَ فى اللَّيلةِ الظَّلماءِ مُنْفَرِداً كأنَّهُ فى رأْسِهِ نَجْمَيْنِ قد طَلَعا

ويتحقق فى هذه القصيدة التى نظمها الوليد قبل اغتياله بقليل جملة الخصائص المعنوية واللفظية والتصويرية التى تَمَثَّلت فى كل شعره الصحيح فى الفخر والعتاب واللوم ، فمعانيه تقليدية بدوية ، موغلة فى البداوة ، ولغته متينة فيها كثير من الألفاظ النادرة المهجورة ، وتراكيبه ضخمة فيها وعورة ، وفيها خفاءٌ وإبهامٌ ، حتى إن بعض معانيها تكاد تَسْتَغْلِق ، ولا تَسْتَظْهر إلاَّ بِجُهْدٍ شاقٍ . وصوره أعرابية مفرطة فى الأعرابية ، إذ يستمدها من صور الجاهليين والأمويين الصحراوية ، ويتأثر فيها بمعلقة زهير بن أبى سلمى تَأثُّراً واضحاً[٢٧٥] . فالخطة التى رسمها لحق الثائرين به ، وأحكم رسمها ، واطمأن إلى نجاحها ، ثم تغافل أصحابه عنها ، ولم ينتفعوا بها ، فذاقوا الهوان ، تشبه الناقة البكر التى لَقِحت ، وعَقَدَتْ بذنبها عند اللقاح ، ثم أهملها أهلها ، ولم يصبروا حتى تكتمل مُدَّة حَمْلها ، لِتُنْتِجَ لهم فُصْلاَناً ، وتَدِرَّ ألباناً ، فشربوا عصارة الصاب والسلع المُرَّة . وثقته بخطته ، وعزمها على تجريبها وتطبيقها هى الناقة نفسها التى لقحت ، ولم يهتم أهلها بها ، فقرر هو اختيارها وامتحانها ، وانتظار خيرها من دماء أعدائه المثخنين بالجراح . وأعداؤه الأقوياء يشبهون الأسود الشَّرِسة المخوفة ، قبيحة الوجوه ، واسعة الأشداق ، كثيرة اللُّغَام ، عالية الزئير ، جافية الطبع ، متغضنة الجلد ، مُتَوَقِّدة الأعين .

واسمّال الوليد من كانوا معه من الجند والحرس بالمال ، فوعدهم بأرزاق دائمة ، وهبات طائلة ، وسألهم أن يَحُفُّوا به ، ويُخْلِصُوا فى مساندته ، فإذا انجلت الفتنة دفع لهم رواتبهم ومكافآتهم ، يقول[٢٧٦] :

ضَمِنْتُ لكم إنْ سَلَّمَ اللهُ مُهْجَتِى عطاءً ورِزْقاً كاملاً فى المُحَرَّمِ
فلا تُعْجِلونى لا أَبَا لأَبِيكُمُ فإنِّى لكمْ كالوَالِدِ المُتَرَحِّمِ

ثم أشار عليه من كانوا معه من السفيانيين والقيسيين واليمنيين بمغادرة قَصْرِ الطُّوبةِ وملاقاة يزيد بن

(٢٧٣) شتيم الوجه : كريهُهُ قَبِيحُه . والضرغامة : الضارى الشديد المقدام .

(٢٧٤) الغضنفر : الجافى الغليظ . وأهرت الشدقين : واسعها . والقَسورة : كثير الزئير والهدير . والظلع : العرج والغمز فى المشى . ونقب البعير : رقت أخفافه .

(٢٧٥) أنظر شرح للمعلقات السبع ص : ١٩١ .

(٢٧٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣١ .

الوليد ، فسار إلى حِصْنِ البخراء على أميالٍ من تَدْمُر ، وقال يُمَنِّى نفسه بالنَّصْرِ ، ويفتخر بصلابته وجُرأته فى مجابهة أعدائه[٢٧٧] :

إذا لمْ يَكُنْ خَيْرٌ مع الشَّرِّ لم تَجِدْ نَصِيحاً ولا ذَا حَاجةٍ حين تَفْزَعُ
إذا ماهُمُ هَمُّوا بإحدى هَنَاتِهِمْ حَسَرْتُ لهمُ رَأسى فلا أَتَقَنَّعُ[٢٧٨]

واجتاز الوليد منزلاً للضحاك بن قيس الفهرى ، فالتحق به أربعون من أولاد الضحاك وحفدته ، وانضمت إليه نجدات من أهل حمص من بهراء وكلب ، كما أسرع إليه من البخراء أولاد النعمان بن بشير الأنصارى ، فلما بلغ البخراء ، وعَسْكَر بها ، تكاثر جُنْدُه ، وقَلَّتْ أعلاف دَوَابِّهم ، فأَمَرَ رجلاً فنادى : إن أمير المؤمنين قد اشترى زُرُوعَ القَرْية ، فقالوا : ما نَصْنَعُ بالقَصِيل ! [٢٧٩] تَضْعُفُ عليه دَوَابُّنا ، وإنما أرادوا الدراهم ![٢٨٠]

وعَرَفَ عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك أن الوليد سار إلى البخراء ، فتابعه ، ولم يزل ينزل بالقرى والمواضع التى يرحل عنها حتى وصل إلى البخراء ، فَعَسْكَر على مقربةٍ منها إزاءَ الوليد ، وكان مع أصحاب عبد العزيز كتاب مُعَلَّقٌ فى رمح فيه : « إنَّا نَدْعُوكم إلى كتاب الله ، وسُنّة نبيه ، وأن يكون الأمر شورى »[٢٨١] .

واستعد الفريقان للحرب فاقتتلوا فى صباح اليوم الثانى ، فانهزم جند عبد العزيز ، وقُتِلَ عدد من فرسانهم ، ولكن المعركة لم تحسم ، لأن بنى عامر الكلبيين كانوا مُفَرَّقين بين الوليد وعبد العزيز ، إذ كان على ميسرة الوليد الوليدُ بنُ خالد ابن أخى الأبرش الكلبى ، وكان بنو عامر مَيْمَنَةَ عبد العزيز ، فلم تقاتل مَيْسَرَةُ الوليد مَيْمَنَةَ عبد العزيز . ثم مال الكلبيون جميعاً إلى عبد العزيز ، فَضَعُفَ جند الوليد ، وقَوِىَ جند عبد العزيز ، وأَنْقِذُوا من الانكسار والهلاك[٢٨٢] . وزاد من ضَعْفِ الوليد وجنده أن العباس بن الوليد بن عبد الملك أرسل إلى

---

(٢٧٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣١ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٥ ، والأغانى ٧ : ٢١ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٢ و .

(٢٧٨) الهنات : جمع هنة ، وهى الشر والشدة والأمر العظيم .

(٢٧٩) القصيل : ما قُصَّ من الزرع أخضر .

(٢٨٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٣ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٨ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٣ و .

(٢٨١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٣ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٩ .

(٢٨٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٣ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٧ ، ٢٤٩ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٣ .

الوليد يُخْبِرُه بقدومه إليه من حمص فى مائة وخمسين من ولده ومواليه ، فَوَقَع رَسُولَه فى أيدى جند عبد العزيز ، فكَمَنُوا للعباس ، حتى إذا مَرَّ بهم خرجوا له ، وأطبقوا عليه ، وهَدَّدُوه بالقتل إن استمر فى السير إلى الوليد ، ويقال : إنهم طعنوه ، ويقال : إنهم جرحوا أحد أبنائه أو قتلوه ، فرضخ لهم ، وعدل إلى عبد العزيز ، فقال له : بايع لأخيك يزيد بن الوليد ، فبايع مكرهاً وَوَقَف ، فنصبوا راية وقالوا : هذه راية العباس بن الوليد ، وقد بايع لأمير المؤمنين يزيد بن الوليد ، فقال العباس : إنا لله ! خِدْعَةٌ من خِدَع الشيطان ! هلك بنو مروان ! فتَفَرَّق الناس عن الوليد ، وأتوا العباس وعبد العزيز ، فانهار أصحاب الوليد وانكسروا[٢٨٣] . ومكث العباس أسيراً عند عبد العزيز ، ثم إن أخاه يزيد بن الوليد صفح عنه ، وكان به برا[٢٨٤] .

فَجنَح الوليد إلى مفاوضة عبد العزيز ، فأرسلَ إليه الوليدَ بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان يعرض عليه أن يُعْطِيَه خمسين ألف دينار ، ويجعَل له ولاية حمص ما بَقِيَ ، ويُؤمِّنَه على كل ماحَدَثَ ، على أن يَنْصَرِفَ ويَكُفَّ ، فأَبَى ولم يجبه . فقال له الوليد : ارجع إليه فَعَاوِدْهُ أيضاً ، فأتاه الوليد ، فلم يُجِبْهُ إلى شيء ، فانصرف الوليد ، حتى إذا كان غَيْر بَعيدٍ عَطَفَ دابته ، فَدَنَا من عبد العزيز ، فقال له : أَتَجْعَلُ لى خمسة آلاف دينار ، وأنْ أكُون كأخصِّ رجلٍ من قومى منزلةً ، فآتيك فأدخل معك فيما دخلت فيه ؟ فقال له عبد العزيز : على أنْ تَحْمِلَ الساعة على أصحاب الوليد ، ففعل . وكان على مَيْمَنةِ الوليد معاوية بن أبى سفيان بن يزيد بن خالد ، فقال لعبد العزيز : أَتَجْعَلُ لى عشرين ألف دينار ، وولاية الأردن ، والشركةَ فى الأمر ، على أن أصيرَ معكم ؟ قال : على أنْ تَحْمِلَ على أصحاب الوليد من ساعتك . ففعل ، فانهزم أصحاب الوليد »[٢٨٥] .

وعلى الرغم من خيانة بعض الأمراء السفيانيين للوليد فى اللحظات العصيبة ، فإنه لم ييأس من محاربة عبد العزيز ، ولم يَقْنَطْ من القضاء عليه ، فَظَاهَر بين دِرْعَيْنِ ، وأُتِيَ بِفَرَسَيْه : السَّنْدىِّ والذَّائد ، فقاتَل عبد العزيز وجُنْدَهُ قتالاً شديداً ، فناداهم رجل : « اقتلُوا عَدُوَّ الله قِتْلَةَ قوم

---

(٢٨٣) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٤٩ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٣ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٥ ، ٢٤٩ ، والأغانى ٧ : ٧٩ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية ، رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٣ ظ . والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٦ .

(٢٨٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٣ .

(٢٨٥) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٥٠ ، وانظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٣ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٣ ظ .

لوط ، ارموه الحجارة ، فلما سمع الوليد ذلك ، دخل القصر ، وأغلق الباب ، وأحاط عبد العزيز وأصحابه بالقصر ، فدنا الوليد من الباب فقال : أما فيكم رجل شريف له حَسَبٌ وحياءٌ أُكَلِّمُه ! فقال له يزيد بن عَنْبَسة السَّكْسَكى : كَلِّمنى ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا يزيد بن عَنْبَسة ، قال : يا أخا السكاسك ، ألَمْ أَزِدْ فى أعطياتكم ! ألَمْ أَرْفَع المؤن عنكم ! ألَم أُعْط فُقَراءكم ! ألَمْ أُخْدِم زَمْناكُم ! فقال : إنا ما ننقم عليك فى أنفسنا ، ولكن ننقم عليك فى انتهاك ما حَرَّمَ الله ، وشرب الخمر ، ونكاح أمهات أولاد أبيك ، واستخفافك بأمر الله ! قال : حَسْبُك يا أخا السكاسك ! فلعمرى لقد أكثرتَ وأَغْرَقْتَ ، وإن فيما أحلَّ لى لَسَعَةً عما ذكرت ، ورجع الدار ، فجلس وأخذ مصحفاً ، وقال : يومٌ كيوم عثمان ، ونشر المصحف يقرأ »[٢٨٦] .

ولا يَتَضَمَّنُ ما أخذه المدائنى عن رواة اليمنية من كلب ، الذين عاصروا الأحداث أنَّ الوليد تنازل عن الخلافة ، ولكن صاحب الإمامة والسياسة يذكر أن الوليد قبل فى آخر مفاوضاته مع اليمنية أنْ يَخلَعَ نفسه ، فأَبَوْا إلاَّ رَأْسَه[٢٨٧] . ويقول أبو حنيفة الدينورى : إن اليمنية خلعوا الوليد ، فلبث مخلوعاً أياماً كثيرة[٢٨٨] ، مما حَرَّفَهُ المؤرخون من أهل الأهواء ، إذ نَقَلُوا الخَلْعَ من المعنى السياسى إلى المعنى الاجتماعى الذى يَتَّصِلُ بالمجون وَيدلّ على الانحلال ![٢٨٩] .

ويروى المدائنى قصة اللحظات الأخيرة من حياة الوليد فيقول : «كان أول من عَلا الحائط يزيد بن عنبسة السَّكسكى ، فنزل إليه ، وسيف الوليد إلى جنْبِه ، فقال له يزيد : نَحِّ سيفك ، فقال له الوليد : لو أَرَدْتُ السيف لكانت لى ولك حالة غير هذه . فأخذ بيد الوليد ، وهو يريد أن يُؤَامِرَ فيه ، فنزل من الحائط عشرة : منصور بن جمهور ، وحبال بن عمرو الكلبى ، وعبد الرحمن بن عجلان ، مولى يزيد بن عبد الملك ، وحميد بن نصر اللخمى ، والسرى بن زياد بن أبى كبشة ، وعبد السلام اللخمى ، فضربه عبد السلام على رأسه ، وضربه السرى على وجهه ، وجَرُّوه بين خمسة ليخرجوه ، فصاحت امرأة كانت معه فى الدار ، فكفوا عنه ولم يخرجوه »[٢٩٠] . وكان مقتل الوليد يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة ست

(٢٨٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٦ ، وانظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٤٩ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٣ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٢ و ، والأغانى ٧ : ٨٠ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٨ ، والبداية والنهاية ١٠ : ١١ .

(٢٨٧) الإمامة والسياسة ٢ : ١٣٥ .

(٢٨٨) الأخبار الطوال ص : ٣٤٩ .

(٢٨٩) مروج الذهب ٣ : ٢٢٨ ، وتاريخ الموصل ص : ٥١ ، والبدء والتاريخ ٦ : ٥١ ، والفخرى فى الآداب السلطانية ص : ١٢٢ ، وشذرات الذهب ١ : ١٦٨ .

(٢٩٠) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٦ ، وانظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٣ ، والأغانى =

وعشرين ومائة[٢٩١] .

«واحتز أبو علاقة القضاعى رأسه ، فأخذ عَقَباً[٢٩٢] فخاط الضربة التى فى وجهه ، وقدم بالرأس على يزيد رَوْحُ بن مُقْبِل ، وقال : أبشر يا أمير المؤمنين ، بقتل الفاسق الوليد ، وأسر من كان معه ، فسجد ومن كان معه ، وقام يزيد بن عنبسة السكسكى ، وأخذ بيد يزيد ، وقال : قم يا أمير المؤمنين ، وأبشر بنصر الله ، فاختَلَج يزيد يدَه من كفه ، وقال : اللهم إن كان هذا لك رضاً فَسَدِّدنى ، وقال ليزيد بن عنبسة : هل كلمكم الوليد ؟ قال : نعم ، كلمنى من وراء الباب ، وقال : أما فيكم ذو حَسَبٍ فأكلمه ! فكلمته ووبخته ، فقال : حسبك ، فقد لعمرى أغرقت وأكثرت ، أما والله لا يُرْتَقُ فتقكم ،ولا يُلَمُّ شَعَثُكُم ، ولا تجتمع كلمتكم»[٢٩٣] .

وكانت أخبار عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك لا تصل بانتظام إلى دمشق ، وكان بعض موالى الوليد وأنصاره يشيعون أن عبد العزيز خُذِلَ وانهزم ، فلما أتاهم رأس الوليد سكتوا وكَفُّوا . ويبدو أن يزيد بن الوليد أراد أن يقطع الأراجيف ، فأمر بنصب رأس الوليد ، فقال له يزيد بن فروة ، مولى بنى مروان : إنما تُنْصَب رءوس الخوارج ، وهذا ابن عمك ، وخليفة ، ولا آمن إنْ نَصبتَه أنْ تَرِقَّ له قلوب الناس ، ويغضب له أهل بيته ، فقال : لا ، والله لأَنْصِبَنَّه ، فنصبه على رمح ، ثم قال له : انطلق به ، فَطُفْ به فى مدينة دمشق ، وأَدْخله دار أبيه ، ففعَل ، فصاح الناس وأهل الدار ، ثم رَدَّه إلى يزيد ، فقال له : انطلق به إلى منزلك ، فمكث عنده قريباً من شهر ، ثم قال له : ادْفَعْهُ إلى أخيه سليمان ، فغسل ابن فروة الرأس ، ووضعه فى سَفَطٍ ، وأتى به سليمان[٢٩٣] .

ويقول المسعودى : إن الوليد دفن بالموضع الذى قتل فيه[٢٩٤] ، ولكن ابن عساكر يذكر أن جسد الوليد حمل سِرًّا بليلٍ إلى دمشق ، ودفن بها خارج باب الفراديس[٢٩٥] .

= ٧ : ٨٠ ، وتاريخ دمشق مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٣ ظ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٨ ، والبداية والنهاية ١٠ : ١١ .

(٢٩١) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٤٨ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٥٢ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٢٤ ، وتاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٤ ظ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٨٨ .

(٢٩٢) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٤٧ ، وانظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٢ .

(٢٩٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٤ ، وتاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٥٠ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٥١ ، وتاريخ دمشق مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٣ ظ .

(٢٩٤) مروج الذهب ٣ : ٢٢٤ .

(٢٩٥) تاريخ دمشق ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠ ، المجلد ١٧ ، الورقة : ٤٨٤ ظ .

٥ – نتائجُ قَتْله

نجم عن قتل الوليد بن يزيد عدة نتائج : منها ضعفُ الخلافة ، وذهابُ هَيْبتها ، وضياعُ جلالها وانهيارُ سلطانها على العامة والخاصة والجند فى الأمصار المختلفة . ومنها اختلاف آراء القبائل اليمنية الشامية ، وتضارب أهوائها السياسية ، وانقسامها ، ومحاربة بعضها لبعض ، وهى عُظْمُ جند بنى أمية ، فَتَفَكَّكَ جَيْشُ الدولة فى العاصمةِ ، وتَصَدَّعَتْ قُوَّتُها الضَّاربة وتَمَزَّقَتْ .

وثالثة النتائج التى نشأت عن قتل الوليد تفسخ الأسرة الأموية بِفْرعَيْها السُّفيانىِّ والمروانىِّ ، وتَنَاحُرُهُا وتَفَانيها فى سبيل الفوز بالحكمْ والمُلْكِ ، فإن يزيد بن الوليد لم يكد يفرغ من قتل الوليد ، ويبايع له بالخلافة حتى خرج عليه أهل حمص من اليمنية ، وكان أقلهم من القدرية ، فساهموا فى اغتيال الوليد ، وفرحوا به ، أما أكثرهم فكان هواهم مع الوليد ، ولذلك أَمَدُّوه بأمدادٍ شَتَّى دفعوها إليه بحصن البخراء قَبْل أَنْ يُقْتَل ، فلما جَاءهم نَبأُ قَتْلِه أغلقوا أبواب مدينتهم ، وأقاموا النوائح والبواكى عليه ، وسألوا عن قَتْلِه ، فقال بعض من حَضَرهم : ما زلنا مُنْتَصِفين من القوم قاهرين لهم ، حتى جاء العباس بن الوليد ، فمال إلى عبد العزيز بن الحجاج ابن عبد الملك ، فوثب أهل حمص فهدموا دار العباس ، وانتهبوها ، وسلبوا حرمه ، وأخذوا بنيه فحبسوهم ، وطلبوه ، فَفَرَّ إلى أخيه يزيد بدمشق . وكاتبوا الأجناد ، ودعوهم إلى الطلب بدم الوليد ، فأجابوهم ، وكتب أهل حمص بينهم كتاباً ألاَّ يدخلوا فى طاعة يزيد ، وإن كانَ وَلِيًّا عهد الوليد حَيَّينِ ، قاموا بالبيعة لهما ، وإلاّ جعلوها لِخَيْرِ منَ يَعْلَمون ، على أن يعطيهم العطاء من المحرم إلى المحرم ، ويعطيهم للذريَّة ، وأمروا عليهم معاوية بن يزيد بن حُصَيْن[٢٩٦] .

وكانت حمص موطناً من مواطن الأمراء السفيانيين والمروانيين ، وكان أغلب من بها منهم يؤيدون الوليد ، وقد رجع إليها أبو محمد السفيانى بعد أن بايع ليزيد مجبراً . وكان عليها فى آخر أيام الوليد مروان بن عبد الله بن عبد الملك ، وكان من سادة بنى مروان نُبْلاً وكَرَماً وعَقْلاً وجَمالاً ، فكتب إليه معاوية بن يزيد بن حصين زعيم أهل حمص المنتخب يَحُثُّه على الأخذ بثأر الوليد ، فأجابه وتابعه على ما أراد . فلما بلغ يزيَد بن الوليد خَبرُهم ، وجَّه إليهم رُسلاً ، فيهم يعقوب بن

(٢٩٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٦٢ ، وعيون التواريخ ، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ حـ ٥ ، الورقة : ٢١ ظ ، والمختصر فى أخبار البشر ١ : ٢٠٦ .

عمير بن هانئ العَبْسى ، وكتب إليهم : إنه ليس يدعو إلى نفسه ، ولكنه يدعوهم إلى الشورى ! فقال عمرو بن قيس السَّكونى : رضينا بَوليِّ عَهْدِنا الحكم بن الوليد ، فأخذ يعقوب بن عمير بلحيته فقال : إن الذى تعنى لو كان يتيماً فى حجرك لم يحل لك أن تدفع إليه ماله ، فكيف أَمْرُ الأمة ! فوثب أهل حمص على رسل يزيد بن الوليد فطردوهم . فَوَجَّه يزيد إليهم أخاه مسروراً ، وابن أخيه الوليد بن روح فى جمع كبير من كلب . ثم قدم سليمان بن هشام على يزيد فأكرمه ، وتزوج أخته أم هشام وردَّ عليه ما كان الوليد أخذه من أموالهم ، وَوَجَّهه إلى مسرور بن الوليد ، والوليد بن روح بحمص حوَّارين من حصون حمص على الطريق إلى دمشق ، وأمرهما بالسمع والطاعة له .

وتأهب أهل حمص لمهاجمة يزيد بدمشق ، فنصحهم مروان بن عبد الله بمنازلة جيش يزيد الذى عسكر بمشارف حِمصْ ، فقال لهم أبو محمد السفيانى : إن مروان يريد أن يُرَيِّثكم عن الطَّلَبِ بدم الخليفة ، وكان معهم السمط بن ثابت من ولد شرحبيل بن السمط الكندى ، وكان ينافس معاوية بن يزيد بن حُصَيْن فى زعامة أهل حمص ، ونقم على مروان بن عبد الله لأنه أقر بزعامته ، فقال : مروان العدو القريب الدار ، يريد أن ينقض جماعتكم ، وهو مايل للقدرية ! فوثب السمط ، والصقر بن صفوان الكندى ، وغالب بن ربعى الطائى فى جماعة فقتلوا مروان ، فلم يشعر أبو محمد السفيانى إلاَّ برأسه على رمح ، فقال : لم أُرِدْ هذا ، ثم بايعوا له ، فسار حتى نزل بحصن جُوسيَّة من حصون حمص من جهة دمشق ، فأمَر يزيد بن الوليد سليمانَ بن هشام ، وعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك أنْ ينزلا ثِنْيَة العُقاب فى الجبل الذى يُطِلُّ على غوطة دمشق من ناحية حمص ، فانتقل أبو محمد السفيانى إلى قُطَيْفَةِ هشام إزاء جند يزيد ، فتَقَدَّم إليه سليمان بن هشام ، والتقوا بالسُّلَيْمانية على بعد أربعة عشر ميلاً من دمشق ، فقاتل السُّفيانى ، فخذله جُنْدُه ، وأَسَرَهُ سليمانُ وساقه مقبداً إلى يزيد بدمشق ، فحبسه مع الحكم وعثمان ابنى الوليد ابن يزيد ، وحبس معهم يزيد بن عمان بن محمد بن أبى سفيان[٢٩٧] . وبايع ليزيد بعض اليمنية من أهل حمص الذين خرجوا مع أبى محمد السفيانى[٢٩٨] ، فأجرى عليهم العطاء ، وأجاز أشرافهم[٢٩٩] .

---

(٢٩٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٤١ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٦٣ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٩٣ .

(٢٩٨) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦ : ٤٤٤ .

(٢٩٩) الكامل فى التاريخ ٥ : ٢٩٤ .

وما إن قضى يزيد على ثورة أهل حمص حتى ثار به أهل الأردن وفلسطين من اليمنية ، وكان سعيد بن عبد الملك عاملاً للوليد على فلسطين ، وكان ولد سليمان ينزلون فلسطين ، وكان يزيد ابن سليمان سَيِّدَ ولد أبيه ، وكان رأس أهل فلسطين يومئذ سعيد بن روح الجذامى ، فدعا يزيد ابن سليمان ليوليه على قومه من جذم ، ويطالبوا بدم الوليد ، وأمر سعيد بن عبد الملك بالرحيل عنهم ، فذهب إلى يزيد بن الوليد بدمشق ، فدعا يزيد بن سليمان أهل فلسطين إلى قتال يزيد ، وبلغ أهل الأردن أمرُهم ، فَوَلَّوا عليهم محمد بن عبد الملك ، واحتشدوا جميعاً لمحاربة يزيد ، فأرسل إليهم سليمانَ بن هشام فى جُنْدِ أهل دمشق ، وحمص ، فلمْ يُنَاجِزْهم سليمان ، فمضى إلى يزيد بعضُ عيونه من اليمنية فى فلسطين ، وأخبره بِتَخَلُّف سليمان عن القتَال ، فكتب إليه بأمره بمناجزتهم ، وبَثَّ يزيد بعض دعاته ، لِيُثَبِّطُوا الثائرين ، ويشتروهم بالأموال ، فلم يزالوا بالثائرين حتى كَفُّوا وتوقفوا ، وتَفَرَّقُوا عن يزيد بن سليمان ، ثم سار سليمان إلى طبرية وأخذ البيعة بها ليزيد ، ثم أتى الرَّملة ، وأخذ البيعة على أهلها ، وعَيَّن يزيد بن الوليد على فلسطين والأردن ولاة جدداً من إخوته ومن اليمنية(٣٠٠) .

وكان مروان بن محمد عامل أرمينية وأذربيجان والجزيرة للوليد ، فلما اغتيل الوليد كتب إلى الغمر ابن يزيد بن عبد الملك يَحُضُّه على مجاهدة قَتَلَةِ أخيه من القدرية ، ويَعِدُه بالمساعدة(٣٠١) ، فسكت الغمر ، وبقى مروان فى ولايته ، وأرسل ابنه عبد الملك إلى الجزيرة ، فسيطر عليها ، وضبطها ، فترك مروان أرمينية ، وتحرك إلى الجزيرة ، فدعا أهلها إلى الفَرْضِ ، ففرض لِنَيِّفٍ وعشرين ألفاً من أهل الجَلد منهم ، وتهيأ لمحاربة يزيد بن الوليد ، فكتب إليه يزيد يسأله أن يُهادنه وَيدْخُلَ فى طاعته على أن يُوَلِّيَه ما كان عبد الملك بن مروان وَلَّى أباه من الجزيرة وأرمينية والموصل وأذربيجان ، فبايع له مروان ، ثم استرد كتاب البيعة من رسل يزيد بعد أن أتاه نعيه(٣٠٢) .

واستخلف إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك ، سنة سبع وعشرين ومائة ، فسار مروان إلى دمشق ، وأَعْلَنَ أنه ثائرٌ للوليد ، مُنْكِرٌ قتله ، ومعه جند الجزيرة من المضرية ، وخَلَّفَ ابنه عبد الملك فى أربعين ألفاً من الرابطة بالرقة ، فلما انتهى إلى قنسرين ، وكان بها بشر بن الوليد بن عبد الملك ، وأخوه مسرور ، فَنَازَلَهما مروان ، ودعا الناسَ إلى مبايعته ، فمال إليه يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى فى

---

(٣٠٠) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٦٦ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٩٤ ، والمختصر فى أخبار البشر ١ : ٢٠٦ .

(٣٠١) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٨١ .

(٣٠٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٤٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٩٥ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٣٠٩ .

القيسية ، وأسلم إليه بشراً ومسروراً ، فحبسها ، وسار فيمن معه من أهل الجزيرة وقنسرين إلى حمص ، وكان أهل حمص امتنعوا عن المبايعة لإبراهيم بن الوليد ، وعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك [٣٠٣] ، فَوجَّه إبراهيم إليه عبد العزيز بن الحجاج فى جند أهل دمشق ، فوصل إلى حمص قبل أن يصل إليها مروان ، وحاصر أهلها ، فلما دنا مروان من حمص رَحَلَ عبد العزيز عنها ، وخرج أهلها إلى مروان فبايعوه ، وساروا بأجمعهم معه ، فَوجَّه إليه إبراهيم بن الوليد الجند بقيادة سليمان بن هشام ، فمضى بهم حتى نزل عَيْن الَجرِّ بالبقاع بين بعلبك ودمشق ، فدعاه مروان إلى الكفِّ عن قَتالِهِ ، والتَّخْلية عن ابنى الوليد الحكم وعثمان المسجونين بدمشق ، وضَمِن عنهما أن لا يُؤاخَذاه بِقَتْلِ الوليد ، ولا يَطْلُبا أحداً ممنَ وَلُوا قَتْلَه ، فأبى عليه ، وَجَدَّ فى مُجالدته ، فانهزم جُنْدُ سليمان ، وهلك منهم سبعة عشر ألفاً ، وأُسِرَ أكثر من سبعة عشر ألفاً ، فأخذ مروان على الأسرى البيعة للحكم وعثمان ابنى الوليد ، ثم أطلقهم ولم يقتل منهم إلاَّ يزيد بن العَقَّار الكلبى ، والوليد بن مصاد الكلبى ، لأنهما كانا فيمن ساروا إلى الوليد ، واشتركوا فى اغتياله . ورجع سليمان والفَلُّ الذى معه إلى دمشق ، فاجتمع إليه وإلى إبراهيم بن الوليد ، وعبد العزيز بن الحجاج رؤوس اليمنية ، وهم يزيد بن خالد القسرى ، وأبو علاقة السكسكى والأصبغ بن ذؤالة الكلبى ، فاتفقوا على قتل ابنى الوليد بن يزيد ، ويوسف بن عمر الثقفى ، وأبى محمد السفيانى ، خوفاً من أن يبايع للحكم وعثمان بالخلافة ، فإنهما إن صار الأمر إليهما لم يستبقيا أحداً من قَتَلة أبيهما ، فوكلوا قتلهم ليزيد بن خالد القسرى ، فأرسل مولاه أبا الأسد ، فاغتال الحكم وعثمان ، ويوسف بن عمر ، ولم يَقْدِرْ على أبى محمد السفيانى ، لأنه اختفى . ثم دخلت خيل مروان دمشق . فهرب إبراهيم ابن الوليد ، وتَغَيَّب ، وانْتَهَبَ سليمان ما كان فى بيت المال ، وقَسَمَهُ فى جنده ، وخرج من دمشق [٣٠٤] ، فثار بها من فيها من موالى الوليد بن يزيد إلى دار عبد العزيز بن الحجاج فقتلوه ، ونبشوا قبر يزيد بن الوليد ، وصلبوه على باب الجابية . وأمر مروان بابنى الوليد ويوسف بن عمر فدفنوا ، وأتى بأبى محمد السفيانى محمولاً فى كبوله ، فَسَلَّم على مروان بالخلافة ، وبايع له بها رؤوس أهل دمشق وحمص ، فاستعمل العمال على دمشق وحمص والأردن وفلسطين ، وأخذ عليهم العهود المؤكدة ، والأيمان المغلظة على بيعته ، وطلب منه إبراهيم بن الوليد ، وسليمان بن هشام الأمان ، فأَمَّنهم ، فقدم عليه سليمان بمن معه من إخوته وأهل بيته ومواليه

---

(٣٠٣) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٥٨ .

(٣٠٤) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٠٠ ، وانظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٦٤ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٤٩ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٣٢١ ، والمختصر فى أخبار البشر ١ : ٢٠٧ .

من تدمر فبايعوه ، وقدم عليه إبراهيم فخلع نفسه ، فاستقامت الخلافة لمروان ، وانصرف إلى منزله بِحَرَّان (٣٠٥) .

وبعد ثلاثة أشهر من مبايعة مروان خَالَفَهُ أهلُ حمص ودمشق وفلسطين ، دعاهم إلى ذلك واليه على فلسطين ثابت بن نعيم الجذامى ، وراسلهم وكاتبهم ، وسار إليهم بنفسه ، وأرسل أهل حمص إلى من بتدمر من كلب ، فشخص إليهم الأصبغ بن ذؤالة الكلبى ، وأبناؤه الثلاثة : جمرة ، وذؤالة ، وفرافِصَة ، وغيرهم من اليمنية ، كمعاوية السكسكى ، وعصمة بن المقشعر ، وهشام ابن مصادر ، وطفيل بن حارثة ، ونحو ألف من فرسانهم ، فدخلوا حمص ليلة الفطر من سنة سبع وعشرين ومائة ، وكان مروان بحماة ، فأتاه خبرهم ، فأَغَذَّ السير إليهم ، ومعه إبراهيم بن الوليد المخلوع ، وسليمان بن هشام ، فحاصر حمص ، واقتحمها جنده ، فقتلوا عامة المقاتلة من اليمنية ، وأَفْلَت الأصبغ بن ذؤالة ، ومعاوية السكسكى ، وأسر ذؤالة وفرافضة ابنا الاصبغ بن ذؤالة فى نيف وثلاثين رجلاً ، فجيء بهم إلى مروان فقتلهم ، وأمر بجميع قتلاهم فصلبوا حول المدينة .

وثار أهل الغوطة إلى دمشق ، فحاصروا أميرهم زامل بن عمرو الجبرانى ، وولوا عليهم يزيد بن خالد القسرى ، فبعث إليهم مروان من حمص أبا الورد مجزأة بن الكوثر بن زفر بن الحارث ، وعمرو بن الوضاح فى عشرة آلاف ، فحملوا على أهل الغوطة ، وهزموهم ، واستباحوا عسكرهم ، وحرقوا قربة المِزَّة . ولجأ يزيد بن خلد القسرى ، وأبو علاقة السكسى إلى رجل من لخم من أهل المزة ، فَدُلَّ عليهما زاملُ بن عمر الجبرانى ، فأرسل إليهما فَقُتِلاَ ، فَدَفَع رأسيهما إلى مروان بحمص (٣٠٦) ، وقَتَلَ زامل أيضاً الوليد وخالداً ابنى يزيد بن الوليد بن عبد الملك (٣٠٧) .

وخرج ثابت بن نعيم الجذامى حتى أتى طبرية ، وعليها الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم ، فَطَوَّقها فقاتله أهلها أياماً ، فكتب مروان إلى أبى الورد أن يشخص إليهم فَيُمِدَّهم ، فرحل من دمشق ، بعد أيام ، فلما بلغهم دُنُوُّه وثَبُوا على ثابت ، فمزقوا عسكره ، فانصرف إلى فلسطين ، فلحق به أبو الورد فهزمه ، وفَرَّق من معه ، وأسر ثلاثة من أبنائه هم : نعيم وبكر وعمران ، وعَيَّن مروان على فلسطين الرُّماحِس بن عبد العزيز الكنانى ، وكتب إليه فى طلب ثابت ، والتلطف له ، فأرشده إليه رجل من جذام فأخذه الرماحس ، وأرسله إلى مروان موثقاً ، فأمر به وبنيه الثلاثة الذين كانوا

---

(٣٠٥) تاريخ الطبرى ٧ : ٣١١ ، وانظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٦٥ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٥٠ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٣٢٣ .

(٣٠٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٣١٣ ، وانظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٦٧ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٣٢٨ .

(٣٠٧) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٦٦ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٤٢ ، ٣٥١ .

فى قبضته ، فقطعت أيديهم وأرجلهم ، ثم حُمِلُوا إلى دمشق ، فأقيموا على باب مسجدها ، لأنه كان يبلغ مروان أن أهل دمشق يرجفون بثابت ، ويقولون : إنه أتى مصر ، فغلب عليها ، وقتل عامل مروان بها(٣٠٨) .

وأقبل مروان من دير أيوب إلى دمشق ، فبايع لولديه عبيد الله وعبد الله ، وزَوَّجهما ابنتى هشام ابن عبد الملك أم هشام وعائشة ، وجمع لذلك أهل بيته جميعاً من ولد عبد الملك بن مروان ، محمد وسعيد وبكار ، وولد الوليد وسليمان ويزيد وهشام وغيرهم من قريش ورؤوس العرب ، وقَطَعَ على أهل الشام بَعْثاً وَقَوَّاهم ، وولى على كلِّ جُنْدٍ منهم قائداً منهم ، وأمرهم باللحاق بيزيد بن عمر بن هبيرة ، وكان مروان قبل مسيره إلى الشام وَجَّهه فى عشرين ألفاً من أهل قنسرين والجزيرة ، وأمره أن ينزل دَوَّرين من قرى واسط إلى أن يقدم . ثم سار مروان إلى القسطل من أرض حمص ، ومنها إلى الرصافة ، ومعه سليمان بن هشام ، وعمه سعيد بن عبد الملك ، وإخوته جميعاً ، وإبراهيم المخلوع ، وجماعة من ولد الوليد وسليمان ويزيد ، فأقاموا بها أياماً ، ثم شخص إلى الرقة ، فاستأذنه سليمان ، وسأله أن يقيم أياماً ليقوى من معه من مواليه ، ثم يتبعه ، فأذن له ، ومضى مروان فنزل عند واسط على شاطئ دجلة بمعسكر كان ينزله ، فأقام به ثلاثة أيام ، ثم مضى إلى قرقيسيا ، وابن هبيرة بها ، ليقدمه إلى العراق لمحاربة الضحاك بن قيس الشيبانى الحرورى ، فأقبل نحو من عشرة آلاف ممن كان مروان قطع عليه البعث بدير أيوب ، لغزو العراق مع قُوَّادهم حتى حلوا بالرصافة ، فدعوا سليمان إلى خلع مروان ومحاربته(٣٠٩) وقالوا له : أنت أرضى منه عند أهل الشام ، وأولى بالخلافة ، فأجابهم ، وخرج إليهم بإخوته وولده ومواليه ، فعسكر بهم ، وسار بجمعهم إلى قنسرين ، فكاتب أهل الشام ، فانْقَضُّوا إليه من كل وَجْهٍ وجُنْدٍ . وأقبل مروان بعد أن شارف قرقيسيا مُنْصَرِفاً إليه ، واجتمع إلى سليمان نحو من سبعين ألفاً من أهل الشام وغيرهم ، وعسكر فى قرية لبنى زفر بن الحارث ، يقال لها : خُسَاف من قنسرين ، فقاتلت مقدمة مروان ، فانهزمت ، فأسرع مروان حتى انتهى إلى سليمان ، فواقعه ، فانْدَحَر سليمان ومن معه ، وأتبعهم مروان خُيولَه تقتلُهم وتأسُرهم ، واحتل فرسانه معسكرهم ، فأمرهم ألاَّ يأتوا بأسير إلا قتلوه إلا عبداً مملوكاً ، فأُحْصِى من قتلاهم يومئذ ما نَيف على ثلاثين ألفاً ، وقتل إبراهيم بن سليمان ، وخالد بن هشام المخزومى خال هشام بن عبد الملك(٣١٠) .

---

(٣٠٨) تاريخ الطبرى ٧ : ٣١٤ ، وانظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٦٧ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٥٤ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٣٣٠ .

(٣٠٩) تاريخ الطبرى ٧ : ٣١٥ .

(٣١٠) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٢٤ .

ومضى سليمان مَغْلُولاً حتى انتهى إلى حمص ، فانضم إليه مَنْ أَفْلَتَ مِمَّن كان معه ، فعسكر بها ، وبنى ما كان مروان أمر بهدمه من حيطانها ، وَوَجَّه مروانُ يوم هَزَمَ سليمان قُوَّاداً ورَوابِطَ فِي جَرِيدَةِ خَيْلٍ ، وأمرهم أن يسبقوا إلى حِصْنِ الكامل . وكان موالى سليمان وولد هشام اجتمعوا بالهَنِيِّ من الرقة ، ودخلوا الحصن بذراريهم ، فتحصنوا فيه ، وأغلقوا الأبواب ، وخلعوا طاعة مروان ، فَتَخَطَّاهم إلى قنسرين لمحاربة سليمان ، فجعلوا يخرجون من حصنهم ، فيغيرون على من اتَّبَعَ مروان من أخريات الناس ، وشُذَّانِ الجند ، فيسلبونهم خيولهم وسلاحهم ، وبلغ مروان ذلك ، فتحرق عليهم غيظاً[٣١١] . ثم وصلت جريدة خيله حصن الكامل ، فأحدقت به إلى أن أتاهم ، فسأل موالى سليمان وولد هشام أن ينزلوا على حكمه ، فَأَبَوْا حتى يُؤَمِّنَهم بأجمعهم ، فَدَلَف إليهم ، ونصب عليهم المجانيق ، فلما أنهالت عليهم الحجارة ، نَزَلُوا على حكمه ، فَمَثَّلَ بهم ، وكانوا نحواً من ثلاثمائة[٣١٢] .

واندفع مروان إلى سليمان بن هشام ومن تجمع معه بحمص ، فلما دنا منهم ، وَطَّنَ تسعمائة من فرسانهم على الموت ، فقاتلوه حتى قُتِلُوا ، وانهزم عسكر سليمان ، فخلف أخاه سعيداً فى مدينة حمص ، وعرف أنْ لا طاقة له بمروان ، وَمَضى إلى تدمر ، فأقام بها ، ونزل مروان على حمص ، فحاصر من بها عشرة أشهر ، ورماهم بالمجانيق ، فلما تتابع عليهم البلاء ، ولزمهم الذل ، سألوه أن يُؤَمِّنهم على أن يمكنوه من سعيد بن هشام وابنيه عثمان ومروان ، ومن رجل يسمى السكسكى ، ومن حبشى ، فأجابهم إلى ذلك وقبلَه ، فقتل السكسكى والحبشى ، واستوثق من سعيد وابنيه[٣١٣] .

وفى بعض الروايات أن سليمان بن هشام بعد انهزامه من وقعة خُسَاف ، أقبل هارباً حتى صار إلى عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، فخرج معه إلى الضحاك بن قيس الشيبانى الحرورى فبايعه[٣١٤] .

فأمر بنى أمية لم يلتئم ولم يستقم بعد هلاك الوليد بن يزيد ، فقد ظلوا يتصارعون على الخلافة سنتين كاملتين ، حتى قضى مروان بن محمد فى أواخر سنة سبع وعشرين ومائة على كل من ثاروا به من ولد أعمامه الحجاج والوليد وهشام بنى عبد الملك بن مروان .

ورابعة النتائج التى نجمت عن اغتيال الوليد بن يزيد استعار العصبية القبلية ، واشتداد التنافس بين المضرية من تميم وقيس وبين اليمنية والربعية فى السلطان ، وتقاتلهم عليه فى الشام والعراق واليمامة

---

(٣١١) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٢٤ ، وانظر الكامل فى التاريخ ٥ : ٣٣٢ .

(٣١٢) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٢٥ ، وانظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٥٣ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٣٣٢ .

(٣١٣) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٢٦ ، وانظر أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٥٥ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٣٣٢ .

(٣١٤) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٢٧ .

ونجد والحجاز وخراسان . أما فى الشام فَمَرَّ أن اليمنية تَذَمَّروا من الوليد ، لأنه استعان بالقيسية ، وخصهم بأكثر الوظائف وأرفعها . ويُلَخِّص المسعودى أثر سياسة الوليد فى اشتعال العصبية القبلية ، واحتدام التسابق بين المضرية واليمنية فى الحكمِ فيقول : «بويع الوليد بن يزيد . . . فَقَدَّم نزاراً واستَبْطنها ، وجَفَا اليمنَ واطَّرحها ، واستَخَفَّ بأشرافها ، وعمد إلى خالد القسرى . . . وكان رئيسَ اليمنية فى وقته المنظورَ إليه منهم . . . فدفعه إلى يوسف بن عمر الثقفى عامله على العراق ، فحمله إلى الكوفة ، وعَذَّبه حتى قَتَلَه . . . فَدَبَّ يزيد بن الوليد فى الدعاء إلى خَلْعِهِ ، فأجابته اليمن بأسرها ، وعاضَدُوه ، وَوَثُبوا معه على عامل الوليد بدمشق . . . وبايعوا يزيداً ، ثم ساروا إلى الوليد . . . فقتلوه»[٣١٥] .

وتشير الأشعار التى نظمها أبناءُ خالدٍ ومواليه وغيرهم إلى أن اليمنية كانوا أكبر أعوان يزيد بن الوليد ، وأنهم أيدوه لينتقموا لخالد القسرى . ومنها قول يزيد بن خالد يُنَدِّد بِقَتْل القيسية لأبيه غدراً وعدواناً ، وهو المسلم الصالح ، ويشمت باغتيال الوليد ، مردداً أنه قَتَلَهُ بأَبيه ، وكان أتى على الوليد وهو مُجَنْدَلٌ ، فضربة تسع ضَرَبات[٣١٦] :

قَتَلْتُم خالداً بالظُّلْم قَسْراً وما يَبْقى سوى الإسلامِ دينَا
قَتَلْتُ إمامَكُمْ بأبى فَحَسْبِى وقد قَتَلُوا سِوَاهُ آخَرِينا

وقول محمد بن خالد الذى صاغه بعد هلاك الوليد بزمن ، وهتف به أثناء تَقَدُّمِ الجيوش العباسية نحو الكوفة ، وكان ثار ورفع شعارات العباسيين ورياتهم السوداء[٣١٧] ، فإنه يعبر فيه عن ابتهاجه بمصرع الوليد ، ويَرْمِيه بالفسق والكبر . ومجانبة الصواب ، ويستهين بسخريته باليمنية واتهامه لهم بالعجز فى القصيدة اللامية التى وضعوها عليه ، ويطاول بقوة القبائل اليمنية وجبروتها ، فقد قضت على الوليد ، وطَوَّحت بدولة بنى مروان[٣١٨] .

قَتَلْنَا الفَاسِقَ الْمُخْتَالَ لمَّا أَضَاعَ الحقَّ واتَّبع الضَّلالاَ
يَـقُـولُ لخالـدٍ أَلاَّ حَـمَـتْـهُ بنو قحطانَ إنْ كانوا رِجَالاَ
فكيف رأى غداةَ غَدَتْ عليهِ كَرَادِيسٌ يُشَبِّهُها الجِبَالاَ[٣١٩]
أَلاَ أَبْلِغْ بنى مروانَ عَنِّى بأنَّ الْمُلْكَ قد أَوْدَى فزالاَ

(٣١٥) التنبيه والإشراف ص : ٢٨٠ .
(٣١٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٥ .
(٣١٧) أخبار الدولة العباسية ص : ٣٦٧ ، وتاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٦١٦ .
(٣١٨) الأخبار الطوال ص : ٣٦٧ .
(٣١٩) الكراديس : الفرق من الخيل .

وقول أبي الأسد مولى خالد[٣٢٠] يفتخر بما أحرزت القبائل اليمنية من نصر مؤزر عزيز. معتدًّا بعظمتها وسطوتها، وأنها تَتَصَدَّى لأعدائها، وتَحتَزُّ رؤوسهم، ولا تنام على ثاراتها، ومعلنا أن القيسية إذا كانوا أضعفوا القبائل اليمنية، وطغوا عليها إلى حين، فإنها لم تلبث أن حَطَّمتهم، وانتصفت لخالد منهم، إذ دَقَّت عنق الوليد الذى مَكَّن لهم[٣٢١]:

لقدْ سَكَّنَتْ كَلْبٌ وأسيافُ مَذْحجٍ ... صدىً كانَ يَزْقُو لَيْلَهُ غيرَ راقدِ[٣٢٢]
تركْنَا أميرَ المؤمنينَ بخالدٍ ... مُكِبًّا على خَيْشُومِهِ غيرَ ساجدِ
فإنْ تَقْطَعُوا مِنَّا مَناطَ قِلادَةٍ ... قَطَعْنَا بِهِ منكمْ مَناطَ قَلائدِ
وإنْ تَشْغَلُونا عن نِدانَا فإنَّنا ... شَغَلْنَا الوليد عن غِناءِ الولائدِ
وإنْ سَافَرَ القسريُّ سَفْرَةَ هَالكٍ ... فإنَّ أبا العباسِ ليسَ بشاهدِ

وصاح أبو محجن مولى خالد بغير مقطوعة تَمَدَّحَ فيها بسطوة اليمنية، ومحقهم للمضرية، وأزرى بالوليد، وكان ممن هاجموه وَمَثَّلُوا به، فهو يقول مصوراً عبثه بجسده عبثاً قبيحاً لو رآه أنصاره لخروا صرعى من فرط حزنهم وغيظهم[٣٢٣]:

لو شَاهَدُوا حَدَّ سَيْفِى حينَ أُدْخِلُهُ ... فى اسْتِ الوليدِ لَمَاتُوا عِنْدَهُ كَمَدَا

ويقول واصفاً فرحته باغتيال الوليد، ومتشفياً بالمضرية الذين تَخَلَّوْا عنه ولم يعصموه من الموت، ومتغنياً بإباء اليمنية، وما يصبون من الصواعق على خصومهم، فتحرقهم حرقاً[٣٢٤]:

سائِلْ وليداً وسائِلْ أهلَ عَسْكَرِهِ ... غداةَ صَبَّحَهُ شُؤْبُوبُنَا البَرِدُ
هل جاءَ من مُضَرٍ نَفْسٌ فَتَمْنَعَهُ ... والخيلُ تحتَ عَجاجِ الموتِ تَطَّرِدُ
مَنْ يَهْجُنا جَاهِلاً بالسَّيْفِ نَنْقُضُهُ ... بالبِيضِ إنَّا بها نَهْجُو ونَفْتَئِدُ[٣٢٥]

ويقول الأصبغ بن ذؤالة الكلبى معرباً عن مسرته بهلاك الوليد، وأسر ولديه الحكم وعثمان،

---

(٣٢٠) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٦٥، وتاريخ الطبرى ٧ : ٣٠٢.

(٣٢١) الكامل، للمبرد ٤ : ٤٥. وتنسب الأبيات لخلق بن خليف البكرى. (انظر تاريخ الطبرى ٧ : ٢٦٠، والعقد الفريد ٤ : ٤٦٣، وتاريخ الموصل ص : ٥٤، وتاريخ دمشق، مخطوطة المكتبة الظاهرية رقم ٣٣٩٠، المجلد ١٧، الورقة : ٤٨٤ و.) والراجح أنها لأبى الأسد مولى خالد، فهى تكشف عن رأى اليمنية فى اغتيال الوليد. وكان خلف بن خليفة حليفاً لليمنية بخراسان، ولكنه كان بعيداً عن الأحداث بدمشق، مشغولاً بالتعبير عن موقف قومه، وأحلافهم من اليمنية ومنافستهم للمضرية بخراسان فى ولاية نصر بن سيار. (انظر تاريخ الطبرى ٧ : ٢٩٠).

(٣٢٢) زقا : صاح.

(٣٢٣) أنساب الأشراف، مصورة الجامعة الأردنية، المجلد الثانى ص : ٣٣٧، والأغانى ٧ : ٨١.

(٣٢٤) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٦١، وتاريخ الموصل ص : ٥٥.

(٣٢٥) افتأد : أوقد النار.

وأخذ اليمنية بثأر خالد ، ومُستَعْلياً على القبائل القيسية والعَشَائر القرشية التى كانت تساعده [٣٢٦] :

من مُبْلغٌ قَيساً وخِنْدِفَ كُلَّها ... وسادَاتِها من عبدِ شمسٍ وهاشمِ
قَتَلْنَا أميرَ المؤمنينَ بخالدٍ ... وبِعْنا وَلِيَّىْ عَهْدِه بالدَّرَاهمِ

ويقول نصر بن سعيد الأنصارى مهنئاً يزيد بن خالد بمصرع الوليد ، وَاصِماً له بالعبودية ، فهو قين ابن قين ، ومكاثراً القبائل النزارية من مضر وربيعة ، ومغتبطاً بما حل بها من النكال والوبال ، ومصرحاً بأن اليمنية ، وإن فتكوا بالوليد ، فإنه لا يكافئ خالداً ولا يساويه ، بل إن بنى أمية جميعاً ليس فيهم من يَزنُهُ ويُماثله [٣٢٧] :

أبلغْ يزيَد بنى كُرْزٍ مُغَلْغَلَةً ... أَنِّى شُفِيتُ بِغَيْبٍ غَيْرِ مَوْتُورِ
قَطَّعْتَ أوصالَ قِنَّوْرٍ على حَنَقٍ ... بصارمٍ من سيوفِ الهندِ مَأْثُورِ
أمستْ حَلائِلُ قِنَّوْرٍ مُجَدَّعَةً ... لِمَصْرَعِ العَبْدِ قِنَّوْرِ بنِ قِنَّوْرِ [٣٢٨]
ظَلَّتْ كلابُ دِمَشْقٍ وهَى تَنْهَشُهُ ... كأنَّ أعضاءَهَ أعضاءُ خِنْزِيرِ
غَادَرْنَ منه بقاياً عندَ مَصْرَعِهِ ... أنقاضِ شِلْوٍ على الأطنابِ مَجْرُورِ
حَكَّمْتَ سَيْفَكَ إذْ لَم تَرْضَ حُكْمَهمُ ... والسيفُ يحكمُ حُكْماً غيرَ تَعْذِيرِ
لاتَرْضَ من خالدٍ إنْ كنتَ مُتَّئِراً ... إلاَّ بكلِّ عظيمِ المُلْكِ مَشْهُورِ
أَسْعَرْتَ مُلْكَ نَزارٍ ثم رُعْتَهُمُ ... بالخيلِ تركضُ بالشُّمِّ المغاويرِ
ماكان فى آلِ قِنَّوْرٍ ولا وَلَدُوا ... عَدْلاً لبدرِ سماءٍ ساطعِ النُّورِ

فهذه الأشعار تقطع بأن القبائل اليمنية الشامية إنحازت ليزيد بن الوليد ليتسنىَّ لها استرجاع سلطانها ، والإنتقام لخالد ، وتكشف عن احساسها بكيانها ، واعتدادها بمجدها ، وتوضح حقدها على المضرية ، ومنازعتها لهم ، وتصميمها على تدميرهم .

وخطب يزيد بن الوليد بعد اغتيال الوليد ، فأعلن أنه إنما ثار غضباً لله ودينه ، وشرح منهجه السياسى والاجتماعى والمالى والعسكرى ، وما يتوخاه من العدل فى الحكم ، والشورى فى الخلافة ، والمساواة بين المسلمين ، وناشد الناس أن يبايعوه إذا اقتنعوا بمنهجه فبايعوه [٣٢٩] .

---

(٣٢٦) الأغانى ٧ : ٨١ ، والتنبيه والإشراف ص : ٢٨١ ، وتاريخ الموصل ص : ٥٥ .

(٣٢٧) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٦١ .

(٣٢٨) القنور : العبد .

(٣٢٩) انظر خطبته فى تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٥٠ ، والبيان والتبيين ٢ : ١١٥ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٦٨ ، والعقد الفريد ٤ : ٩٦ ، والبداية والنهاية ١٠ : ١٣ ، وتاريخ الخلفاء ص : ٢٥٢ .

ومع ما وعد به من التغيير السليم ، والإصلاح الشامل ، فإن القبائل اليمنية الشامية ضغطت عليه ضغطاً شديداً ، وكانت أكبر القوى التى ساندته ، ورفعته إلى الخلافة ، فلم يستطع الإفلات من ضغطها ، فانصاع لها ، وعمل على تحقيق مطامحها ، فَقَدَّمها ، وآثرها بالوظائف المهمة فى قصره ، وفى الأمصار المختلفة ، فاستعمل على شرطته بكير بن شماخ اللخمى[٣٣٠] ، أو محمد بن سعيد الكلبى[٣٣١] ، وعلى الخراج والجند والحرس النضر بن عمرو من أهل اليمن ، وعلى الخاتم عبد الرحمن ابن حنبل الكلبى ، وعلى الرسائل الليث بن أبى سليمان بن سعد[٣٣٢] . وَوَلَّى على العراق منصور ابن جمهور الكلبى[٣٣٣] ، فاستبد بالعراق ، وبسط نفوذ أهل اليمن عليها ، وحاول مد نفوذهم إلى أقطار المشرق ، إذ عَيَّن على البصرة جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلى[٣٣٤] ، وعلى شرطتها الحجاج بن أرطاة النخعى[٣٣٥] ، وعَيَّن على سجستان محمد بن عذار من أهل اليمن ، وكتب لأخيه منظور بن جمهور بعهد خراسان ، وعَزَلَ نصر بن سَيَّار عنها ، فامتنع نصر عليه ، ولم يذعن له[٣٣٦] . وأقصى يزيدُ بن الوليد يوسفَ بن محمد الثقفى عن المدينة ومكة والطائف ، وأرسل إليها عبد العزيز ابن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، ثم نَحَّاه عنها ، وَوَلَّى عليها عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز[٣٣٧] .

فتهاوَى سلطان المضرية وتَداعَى ، وعَظُمَ سلطان اليمنية وعَلاَ ، مما بدا معه أن يزيد بن الوليد حاد عن المبادئ الإسلامية التى نادى بتطبيقها ، وقَصَّر عن تحقيق الإصلاحات التى مَنَّى الناس بها ، واعتمد عليها فى ترشيح نفسه للخلافة ، فانتقده بعض اليمنية المُتَدَيِّنين الذين شاركوا معه فى الثورة ، ولم تأخذهم العزة بالعصبية القبلية والحمية الأعرابية ، ولا كان من همهم التَّحَزُّبُ لأنفسهم ، أو الاقتصاص من القيسية الذين قتلوا خالداً القسرى ، وإنما كانوا يبتغون سياسة سديدة رشيدة ، إذ يروى أن يزيد بن حجوة الغسانى الدمشقى لام يزيد بن الوليد لاستعماله منصور بن جمهور الكلبى على العراق ، وإبعادِه لقيس ، ونَصَحَهُ أنْ يُوَلِّى أهل الصلاح والوقوف عند الشُّبُهات ، والعلم

(٣٣٠) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٦٢ .

(٣٣١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٩ .

(٣٣٢) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٦٢ .

(٣٣٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٣٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٢٧١ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٩٥ .

(٣٣٤) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٦٠ .

(٣٣٥) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٨٠ .

(٣٣٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٧٧ .

(٣٣٧) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٥٩ .

بالأحكام والحدود ، وقال له : «مالى لا أرى أحداً من قيس يغشاك ، ولا يقف ببابك ؟ قال : لولا أنه ليس من شأنى سَفْكُ الدماء ، لَعَاجَلْتُ قيساً ، فوالله ما عَزَّت إلَّا ذَلَّ الإسلام» ! . مما يدل على أنه كان يكره قيساً كُرْهاً عميقاً متأصلاً .

فتَلاَومت المضرية فيما كان من غلبة اليمانية عليها ، وقتلهم الوليد بن يزيد ، فَدَبَّ بعضهم إلى بعض ، واجتمعوا من أقطار الأرض ، وساروا حتَى وافَوْا مدينة حمص ، وبها مروان بن محمد . وكان يومئذ شيخَ بنى أمية وكبيرهم ، وكان ذا أدبٍ كاملٍ ، ورأْيٍ فاضلٍ ، فاستخرجوه من داره ، وبايعوه ، وقالوا له : أنت شيخ قومك وسيدهم ، فأطلب بثأر ابن عمك الوليد بن يزيد ، فاستعد مروان بجنوده فى تميم وقيس وكنانة ، وسائر قبائل مضر ، وسار نحو مدينة دمشق ، فاحتلها ، وأستولى على الخلافة من إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك[٣٣٨] فاستقر فى نفوس اليمنية أن تنازل إبراهيم عن الخلافة نذير بزوال نفوذهم الذى تَمَّ لهم فى أيام يزيد بن الوليد ، فقاوموا مروان ، وظلوا يطيرون إلى سليمان ابن هشام كلما ثار به ، ثم إن الكلبيين من أهل حمص الذين غضبوا لمقتل الوليد بن يزيد نقضوا بيعتهم لمروان ، ورفضوا الإذعان له ، كما خرجت عليه قبيلة جذام بفلسطين ، إذ هب زعيمها ثابت بن نعيم الجذامى لمحاربته ، ثم خلعه وقال : «أنا الأصفر القحطانى ! لست لنعيم إن لم أنل الشام من أولاد قيس»[٣٣٩] . فقضى مروان عليه ، وأعدمه ، واستَتَبَّ الأمر له ، فاصطنع القيسية ، واستَظَلَّ بهم ، واستكثر منهم فى المناصب الكبرى بدمشق ، وفى بقية الأمصار[٣٤٠] .

ويُوجزُ أبو عبيدة معمر بن المثنى أثر الانقلاب على الوليد فى اضطرام العصبية بالشام زمن يزيد ابن الوليد ، ومروان بن محمد ، وما نتج عنها من انشقاق القبائل إلى مجموعتين متصارعتين ؛ اليمن فى جانب ، وقيس فى جانب ، كل منهم يريد أنْ ينتزع الحكم لنفسه ، ويدعم مركزه ، ويحافظ على نفوذه فيقول : «كان جند أهل اليمن مع يزيد بن الوليد تعصباً على الوليد بن يزيد ، حيث أسلم خالد ابن عبد الله القسرى إلى يوسف بن عمر حتى قتله ، وكانت القيسية مع مروان بن محمد لأنه طلب بدم الوليد»[٣٤١] .

واحتدمت العصبية القبلية بالكوفة بين المضرية من جهة واليمنية والربعية من جهة أخرى فى ولاية عبد الله بن عمر بن عبد العزيز على العراق ، ومنازلته لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى

---

(٣٣٨) الأخبار الطوال ص : ٣٥٠ .

(٣٣٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٥٢ .

(٣٤٠) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٦١٥ .

(٣٤١) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٢١ .

طالب سنة سبع وعشرين ومائة ، فثار عامة المضرية وغوغاؤهم باليمنية من أهل الكوفة ، وَرَجَمُوهم فقتلوا منهم أكثر من ثلاثين رجلاً[٣٤٢] . وعندما انهزم شيعة ابن معاوية ، وأقبل قادة يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى إلى الكوفة حذروا الربعية من المضرية ، وقالوا لهم : «أما نحن يا معشر ربيعة فما كنا نأمن عليكم ما صنع الناس بأهل اليمن ، ونَتَخَوَّفُ عليكم مثلها»[٣٤٣] .

ووقعت العصبية القبلية بين اليمنية من أهل الشام وبين المضرية خلال محاربة عبد الله بن عمر بن عبد العزيز لسعيد بن بهدل الشيبانى الخارجى ، فكانت اليمانية من أهل الشام مع عبد الله بن عمر بالحيرة ، والمضرية مع النضر بن سعيد الحرشى ، أحد قادة ابن عمر ، فكانوا يقتتلون فيما بينهم غُدوةً وَعِشيَّة[٣٤٤] وكذلك كانوا بعد أن ولى أمر الخوارج بالكوفة الضحاك بن قيس ، فقد مالت المضرية إلى النضر ، ومالت اليمنية إلى ابن عمر ، فتحاربا أربعة أشهر ، وأقبل الضحاك نحو الكوفة ، فأرسل ابن عمر إلى النضر : هذا لا يريد غيرى وغيرك ، فَهَلُمَّ نجتمع عليه ، فتعاقدا على قتاله ، فنزل ابن عمر الكوفة ، وكان يصلى فى مسجد الأمير بأصحابه ، والنضر فى ناحية الكوفة يصلى بأصحابه ، لا يجامع ابن عمر ولا يصلى معه ، غير أنهما قد تَكَافَّا واجتمعا على قتال الضحاك[٣٤٥] !

ولما غَلَبَ الضحاك على الكوفة فَرَّ ابن عمر ، فنزل منزل الحجاج بن يوسف بواسط فى اليمانية ، ونزل النضر وأخوه سليمان ابنا سعيد ، وحنظلة بن نباتة وابناه محمد ونباتة فى المضرية ذات اليمين ، إذ صعدت من البصرة ، وخَلَّوا الكوفة والحيرة للضحاك والشُّراة ، وصارت فى أيديهم ، وعادت الحرب بين عبد الله بن عمر ، والنضر بن سعيد الحرشى إلى ما كانت عليه قبل قدوم الضحاك ، يَطْلُبُ النضر أن يسلم إليه عبد الله بن عمر ولاية العراق بكتاب مروان ، ويأبَى عبد الله بن عمر . وأقبل الضحاك منقضاً فى الشراة إلى واسط مُتَّبعاً لابن عمر والنضر ، فلما رأيا ذلك ، نَكَلاَ عن الحرب فيما بينهما ، وصارت كلمتهما عليه واحدة ، كما كانت بالكوفة ، فجعل النضر وقواده يعبرون الجسر ، فيقاتلون الضحاك وأصحابه مع ابن عمر ، ثم يعودون إلى مواضعهم ، ولا يقيمون مع ابن عمر ، فلم يزالوا على ذلك ثلاثة أشهر[٣٤٦] .

واستطارت العصبية القبلية بين الربعية والقيسية باليمامة ونجد فى مناطق الحدود ومنازلهم

---

(٣٤٢) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٠٥ .

(٣٤٣) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٠٧ .

(٣٤٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٦١ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٣١٧ .

(٣٤٥) تاريخ الطبرى ٧ : ٣١٨ .

(٣٤٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٢١ .

المتجاورة ، فأخذ كل منهم يُغِيرُ على خصمه ويغزوه ، حتى اتصلت الأيام والحروب بينهم ، وتَعَدَّدت الثارات ، واستأنفوا حياتهم الجاهلية . فقد كان على اليمامة حين قتل الوليد بن يزيد عَلِيُّ بن المهاجر ابن عبد الله الكلابى ، فقال له المُهَيْر بن سلمى بن هلال أحد بنى الدُّول بن حنيفة : أَخْلِ لنا بلادنا ، فأبى ، فجمع له المهير وسار إليه وهو فى قصره بقاع حَجْر ، فالتقوا بالقاع بسوق حجر ، فهزمه المهير حتى أدخله قصره ، وخرج من ناحية القصر ، فهرب إلى المدينة ، وقَتَلَ المهير ناساً من أصحابه . فهذا يوم القاع (٣٤٧) .

وتَأَمَّرَ المهير على اليمامة ، وكان على شرطته عبد الحكم بن حكام العبدى ، فركب المهير والناس معه ، فَشَدَّ قومٌ على عبد الحكم فقتلوه . ثم مات المهير ، واستخلف عبد الله بن النعمان أحد بنى قيس ابن ثعلبة بن الدُّول ، فاستعمل الْمُنْدَلَثَ بن إدريس الحنفى على الفَلَج من قرى بنى عامر بن صعصعة ، وقيل هى لبنى نمير (٣٤٨) ، فجمع له بنو كعب بن ربيعة بن عامر ، ومعهم بنو عُقَيْل ، وأتوا الفلج ، فقاتلهم المندلث ، فقتله رجل منهم يقال له : رَحَّال بن فروة القشيرى ، وقَتَلَ أكثر أصحابه ، وظفرت بنو عامر ، ولم يقتل منهم كبير أحد ، وقتل يومئذ يزيد بن المنتشر المعروف ببزيد ابن الطَّثْرِيَّة . فهذا يوم الفَلَج الأول (٣٤٩) .

ولما أتى عبد الله بن النعمان خليفة المهير قَتَلُ الْمُنْدَلَث ، جمع جمعاً بلغ ألفاً من حنيفة وغيرها من ساكنى اليمامة ، فغزا الفَلَج ، فلما تَصَافَّ الناس انهزم أبو لطيفة بن مسلم العُقَيْلى . وتَجَلَّلَتْ بنو جعدة البراذع ، وقاتلوا حتى قتلوا إلا نَفراً منهم ، وقطعت يد زياد بن حيان الجعدى ، ثم قُتِل فهذا يوم الفَلَج الثانى (٣٥٠) .

واستعد بنو عُقَيْلٍ وقُشَيْرٍ وجعدة بن كعب ونُمَيْر بن عامر بعد الفلج الثانى للحرب ، فتجمعوا وتَقَدَّمهم بنو سهلة النميرى ، فأغاروا على من كان من بنى حنيفة بمعدن الصحراء ، وقتلوا من وجدوه من بنى حنيفة ، وسلبوا نساءهم ، وكَفَّت بنو نمير عن النساء ، غير أن رباح بن جندل من بنى الراعى سبى امرأةً واحدةً مُخَصَّلةً بِخُصَلِ الفِضَّة . فهذا يوم معدن الصحراء (٣٥١) .

---

(٣٤٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٤٣ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٩٨ .

(٣٤٨) يقول ياقوت الحموى فى معجم البلدان ٣ : ٩٠٨ : «فلج مدينة بأرض اليمامة لبنى جعدة وقشير وكعب ابن صعصعة بن ربيعة بن عامر بن صعصعة» .

(٣٤٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٤٣ ، والأغانى ٨ : ١٨٠ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٢٩٩

(٣٥٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٤٤ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٣٠٠ .

(٣٥١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٤٤ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٣٠٠ .

ولما أوقعَ بالعامريين يوم الفلج الثانى ، قال عمر بن الوازع الحنفى لست بدون عبد الله بن النعمان وغيره مِمَّن يغير ، وهذه فترة يُؤمَنُ فيها السلطان ، فمضى يريد أُضَاخاً من قرى اليمامة لبنى نمير ، فلما كان بالشُّرَيْف بَثَّ خيله فأغارت ، وأغار فملأ يده من الغنائم ، وأقبل ومن معه حتى نزلوا النَّشَنَاش ، وأقبلت بنو عامر حاشدةً حتى أغارت ، فلمَ يَرُعْ ابْنَ الوَازعِ إلا رُغَاءُ الإبل ، فجمع النساء فى فسطاط ، وأقام عليهن حَرَساً من ثقاته . ولقى القوم فقاتلهم ، فَهُزِمَتْ حنيفة ومن معها ، وهرب ابن الوازع ، فلحق باليمامة ، وتساقط منهم خَلْق فى قلب النشناش من العطش وشدة الحر ، فَطُلِبَ ابنُ الوازع ، فلم يقدر عليه ، ورجعوا بالأسرى والنساء ، فهذا يوم النشناش[٣٥٢] وقد تَغَنَّى به شعراء قيس من عُقَيْل ونُمَيْرٍ طويلاً[٣٥٣] ، وافتخروا بانتصارهم على بنى حنيفة ، وانتصافهم منهم ، افتخاراً منه قول القُحَيْفِ العقيلى[٣٥٤] :

مَنْ مُبْلِغٌ عنَّا قُرَيْشاً رسالةً ... وأفناءَ قَيْسٍ حيث سارتْ وحَلَّتِ
بأنّا تركنا مِنْ حَنِيفةَ بعدما ... أغارتْ على أهل الحِمَى ثُمَّ وَلَّتِ
نَسُكُّ نميرٌ بالقَنا صَفَحاتِهم ... فكمْ ثَمَّ مِنْ نُذْرٍ لها قدْ أُحِلَّتِ

وكَفَّتْ قَيْسٌ يومَ النَّشناشَ عن السَّلْبِ ، فجاءت عُكْلٌ من الحَلَّةِ[٣٥٥] فسلبتهم . ولم يكن لحنيفة بعد هذا اليوم جَمْعٌ ، غير أنَّ عبيد الله بن مسلم الحنفى جَمَع جمعاً ، وأغارَ على ماءٍ لِقُشَيْرٍ يقال له : حَلَبان ، وأغار على عُكْلٍ فقتل منهم عشرين رجلاً . ثم قدم المثنى بن يزيد بن عمر بن هبيرة والياً على اليمامة من قِبَلِ أبيه حين ولى العراق لمروان بن محمد ، فوردها وهى سَلْمٌ ، فلم يُحارِبْ ، وتَشَاهَدَتْ بنو عامر على بنى حنيفة ، فَتَعَصَّبَ لهم المُثَنَّى بالقَيْسيّة ، فضرب عدة من بنى حنيفة ، ثم إن المثنى جعل يرفعهم إلى قاضيه طلحة بن إياس العدوى ، فلم يقبل شهادة عامرى ، فهدأت البلاد ، وسكنت ، ولم يزل عبد الله بن مسلم الحنفى مستخفياً حتى قدم السرى بن عبد الله بن الحارث بن عباس بن عبد المطلب والياً على اليمامة من قِبَلِ بنى العباس ، فَدُلَّ عليه فقتله لما صنع[٣٥٦] .

وثارت العصبية القبلية بين اليمنية والقيسية بالحجاز ، وتوقفت طيئ عن دفع الضرائب والصدقات لموظفى عبد الواحد بن سليمان عامل مروان بن محمد على المدينة ، وهَزَمَتْ جيشَ أهل المدينة من قيس ، وكانت فيه فرقة من جند أهل الشام ، وظلت مخالفةً لمروان ، مُسْتَعْصِيةً عليه ،

(٣٥٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٤٤ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٣٠١ .
(٣٥٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٤٥ .
(٣٥٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٤٥ .
(٣٥٥) الحلة : قَفٌّ من الشُّرَيْف بناحية أضاخ بين ضرية واليمامة .
(٣٥٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٣٠١ .

مُسْتَقِلَّةً عنه ، حتى قامت الدولة العباسية ، ففيما يرويه هشام بن محمد بن السائب الكلبى عن معدان ابن عبيد الطائى أنه قال : تزوجت امرأة من بنى بدر من فزارة رجلاً منا على نبيذ لهم ، فأسرع فيهم النبيذ ، وجرت ملاحاة ، فوثب رجل منا يقال له : يعقوب بن سلامة ، فضرب شاباً منهم ، فَشَجَّه فمات من شَجَّته . قال معدان : فقلت للبدريين لكم دية صاحبكم ، فأبوا إلا إن يُدْفَعَ إليهم قاتله ، فأبيت دَفْعَه ، وكنا حين قُتِلَ الوليد بن يزيد ، ووقعت الفتنة ، مَنَعْنَا الصدقة ، فلم يُؤَدِّها من طيئ إلا بنو جرم وبنو نبهان أو أكثرهم . فأتى البدريون أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وكان عامل الأعشار والصدقات بالمدينة ، وإليه صدقات الجبَلَيْن ، فأخبروه بخبر صاحبهم ، فكتب أمية إلى مروان يخبره بمنعنا الصدقة ، وبقتل البدرى ، وامتناعى من دفع قاتله إليهم ، وأنَّا على خلاف ومعصية . فكتب مروان إلىَّ أنْ أمكِّنَ البدريين من صاحبهم ، وأدُّوا الصدقة إلى أمية وسعاته ، وإلاَّ وَجَّهْتُ إليك منَ يَحْمِلُكَ إلىَّ ، فإن امتنعت عليه أتانى برأسك ، وَثَمَّ والله لأُبِيلَنَّ الخيل فى عرصاتكم . فأمر معدان بِضَرْبِ عنق الرسول ، فقال : إن الرسول لا يُقْتَلُ ، والأسير فيكم يا معشر طيئ يُسْتَحْيَا . فقال : صدقت ، وخلَّى سبيله ، وقال : أَدَّيْتَ إلىَّ ، فَأَدِّ عنى ، قل لابن زُرْبَى (٣٥٧) : أنت تُبِيلُ الخيل فى عرصاتنا ، وبيننا وبينك رمال عالج ، وخلف ظهرى الجبلان ، وحولى عَدِيدُ طيئ ! اجْهَدْ جُهْدَك ، واحْشِدْ حَشْدَك ، فلا أبقى الله عليك إنْ أُبْقِيتَ ، ولا أَرْعَى عليك إنْ أُرْعِيت ، وكتب إليه :

أَلاَ مَنْ مُبْلِغٌ مروانَ عَنِّى ... علىَ مَاكانَ مِنْ بُعْدِ الْمَزارِ

أَلَمْ تَرَ للخلافةِ كيْفَ ضاعَتْ ... لأَن صَارَتْ لأبناءِ السَّرارى

فأدى الرسول إلى مروان الرسالة والشعر ، فاستشاط غضباً ، ودعا عبد الحميد بن يحيى كاتبه ، فأمره أن يكتب إلى عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك عامله على المدينة ، وإلى أمية بن عبد الله عامله على الأعراض والأعشار والصدقات بها ، وعلى صدقات طيئ بالجبلين ، أنْ يسيرا بأهل المدينة وأهل البوادى من قيس وغيرها إلى معدان بن عبيد حتى يَحْملاَه ، أو يُقَاتَلَ فَيُقْتَل فى المعركة . فسار بالناس حتى نَزَلاَ بِفَيْد ، وبعث أمية إلى معدان بن عبيد فى أداء الصدقة ، فبعث إليه وإلى عبد الواحد أنى غير دافع إليكما شيئاً مما تطالبان ، أما الصدقة فإنى أَحْبِسُها حتى يستقيم أمر الناس ، وأما وضع يدى فى أيديكم فذلك ما لا يكون ، أو أُوسَرَ وأقتل . فسار أمية وصاحبه فى زهاء مائة ألف من أهل المدينة والبوادى من قيس وغيرها ، وفى ألف من أهل الشام بعثهم مروان إعانةً لهم ، وبعث عبد الواحد على مقدمته رجلاً من الضِّباب لِحَنَقِ قيس على طيئ ، واتَّبعه ، ويقال إنه لم يتبعه ،

(٣٥٧) زربى : أم مروان بن محمد .

وعسكروا بالمُنْتَهب من أَجَأ . قال معدان : وكنت فى اثنى عشر ألفاً من بنى مَعْن بن عَتُود بن عَتير بن سلامان ابن ثُعَل ، وبنى جَدِيلة وغيرهم من طيئ ، فذهب يحيى بن الكَرَوَّس بن زيد المَعْقِلى منهم بستة آلاف ، لأنه كَره القتال ، فبقيت فى ستة آلاف ، فلما انتهيت إلى عسكر الضَّبَابى ، واسمه جرير ابن يزيد بن كثيف ، إذا جِبَالٌ من حديد ، وإذا عسكر القوم لا يُرَى طرفاه . فرفعت طيئ النار على أجا ، فاجتمعوا فنحروا الجُزُر ، وعملوا النبال والنشَّاب ، وقالوا : قَبَّح الله أجزع الفريقين من الموت . قال : فتَصافَفْنَا ، فلما رموا بالنبل حَمَلْنَا عليهم حملة رجل واحد ، فما كان إلا كَلاَّ ولا ، حتى قتل الضَّبابى ، وانهزم الناس أسوأ هزيمة ، فقتلنا وانتهبنا ، وأُتِيتُ بأمية أسيراً ، فَخَلَّيْتُ سبيله ، وأُتِيتُ بجارية له بعد ذلك ، فبعثت بها إلى المدينة ، وقلت : لا تتبعوا مدبراً ، ولا تجهزوا على جريح . قال : ثم قُرِئَ علينا بعد ذلك كتاب مروان إليهم ، يأمرهم فيه إذا نشبت الحرب أن يَقْتُلُوا ويَسْبُوا . ولو علمت ما فى الكتاب قبل ذلك ما نجا منهم مخبر . وكتب صاحب المدينة إلى مروان بالخبر ، فعزم على توجيه عبده بن رباح الغسانى فى عشرة آلاف من أهل الشام ، وقال : أهل المدينة أضعف قومٍ وأَفْشَلُه ، والأعراب كذلك ، ما لم يُوتَروا ، وَيُطْلُبُوا الطَّوائل . فَبَيْنَا هو عَلَى ذلك إذ كتب إليه ابن هبيرة عامله على العراق بقتل ابن ضُبارة ، وإقبال قحطبة ، فقال : ما شُغْلُنا عَشَرَة آلاف بأعراب طيئ ؟ فصرف الجيش نحو العراق ، فلم نعط الصدقة حتى استقام أمر الناس ، واستُخْلِفَ أبو العباس[٣٥٨] ! ونظم شعراء طيئ بعض القصائد والأراجيز التى تمجدوا فيها بقهرهم لقريش وقيس[٣٥٩] .

واستطارت العصبية القبلية بين المضرية واليمنية فى المدينة ، وظهرت آثارها فى صفوف الجند بموقعة قُدَيْد سنة ثلاثين ومائة ، فإن الجيش الذى عَبَّأه عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك لمجاهدة أبى حمزة الشارى كان من قريش والأنصار[٣٦٠] ، ومن قيس والموالى[٣٦١] . وكان اليمنية فى المدينة ناقمين على قريش وقيس لما حَلَّ بإخوانهم اليمنية فى الشام والعراق وخراسان من اضطهاد واستعباد ، فلم يتآلفوا مع بقية الجند ، فكان جيش أهل المدينة مُتنافراً ، فلما اصطدم بجيش أبى حمزة الشارى ، وأخذت الهزيمة تحيق بقريش ، فرح بعض اليمنية ، « فنظر رجل من قريش إلى رجل من أهل اليمن ، وهو يقول : الحمد لله الذى أَقَرَّ عَيْنى بمقتل قريش ! فقال لابنه : يا بنىَّ ابْدَأْ به ، فَدَنا منه ابنه ،

---

(٣٥٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٥٥ ، وانظر معجم البلدان ٤ : ٦٥٧ .

(٣٥٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ .

(٣٦٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٧٧ .

(٣٦١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٧٨ .

فَضَرَبَ عنقه ، ثم قال لابنه : أى بنى ، تَقَدَّم ، فقاتلا حتى قـتلا[٣٦٢] » . وقال رجل من الخزرج من بنى زُرَيْف : « الحمد لله الذى أَذَلَّ قُريشاً ! وإلى جنبه عمارة بن حمزة بن مصعب ، فضربه عمارة فقتله »[٣٦٣] . ويروى أنَّ خُزاعة دَلَّت أبا حمزة على عورة قريش ، وكانوا أكثر الناس ، وأشدهم شوكة ، فأدخلته عليهم ، فقتل منهم مقتلةً عظيمةً[٣٦٤] ، وأَعْدَمَ أسراهم ، أما الأسرى من اليمنية فأطلقهم[٣٦٥] .

واضطرمت العصبية القبلية بين المضرية وخصومهم من اليمنية والربعية بخراسان . وكانت القبائل بها من تميم وقيس ، وكانوا فى حلف ، ومن الأزد وبكر ، وكانوا فى حلف آخر . وكانت قبائل الحِلْفَيْن تتنافس فى السلطان منذ قيام الدولة الأموية إلى انهيارها[٣٦٦] ، فلما قُتِلَ الوليد بن يزيد تفاقمت الفتنة بينها . وكان نصر بن سيار وَلِىَ خراسان سنة عشرين ومائة ، فمال فى السنوات الأربع الأولى من ولايته إلى المضرية ، وتَعَصَّبَ على اليمنية والربعية ، فتضجروا . ثم أرسل يزيدُ بنُ الوليد منصور بن جمهور الكلبى عاملاً على العراق ، فسعى إلى تَعْيِين أخيه منظور على خراسان ، فانتعش اليمنية والربعية ، وطاولوا نَصْراً والمضرية ، فساسَ نصرُ الناس سياسة عادلة حازمة ، وَعَدَل عن العصبية ، فأشرك أكثر القبائل فى الوظائف ، إذ وَلَّى اليمنية والربعية على طخارستان وخوارزم وقوهستان ، وأمر ولاته بحسن السيرة[٣٦٧] فانقاد له البكريون بِقُوهستان ، ولكن البكريين الذين كانوا بمرو الرُّوذ ، ومرو الشاهجان نابذوه ، وأنضافوا إلى جديع بن على الْكِرمانى ، زعيم الأزد ، وأثاروا عليه القلاقل ، كما تَشَغَّب به جماعة من الأزد وبكر بمروالشاهجان ، وادَّعوا أنه لم يدفع لهم أعطياتهم ، فَحَذَّرهم نَصْرُ من الفرقة ، وذَكَّرهم بأنهم طليعة متقدمة يحرسون الثُّغورَ من العدو ، فلم يَأْبَهوا بتحذيره وإرشاده ، بل زَادُوا من مُناوأتهم له[٣٦٨] .

وعندما عَزَلَ يزيدُ بن الوليد منصور بن جمهور الكلبى عن العراق ، وَوَلَّى عليها عبد الله ابن عمر بن عبد العزيز ، فَثَبَّت عبدُ الله نصراً على خراسان ، تعاظم سخط الأزد عليه ، ولَجُّوا فى مُناهضتهم له ، وجعل جديع بن على الكِرْمانى يَتَرَبَّص بنصر . فهاجت المضرية ، وألَحَّت على نَصْرٍ

---

(٣٦٢) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٩٣ .

(٣٦٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٧٨ .

(٣٦٤) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٩٣ .

(٣٦٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٧٨ .

(٣٦٦) انظر الشعر العربى بخراسان فى العصر الأموى ص : ٧٣ .

(٣٦٧) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٧٨ .

(٣٦٨) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٨٥ .

أنْ يَنْفِيَه ، أو يَعْتَقِلَه ، أو يَقْتُلَه ، فتركه حُراً ، حتى إذا عرف أنه يشيع فى الأزْد أنه كان يُخَطِّطُ منذ زمنٍ طويلٍ للثورة ببنى أمية ، والأخذ بثأر المهالبة[٣٦٩] ، وتأكَّد من خطره ، قبض نَصْر عليه ، وزَجَّه فى السجن ، فهرب منه ، وَمَضَى يَسْتَفِزُّ الأزْدَ ، فَتَدافعوا إليه ، فانْتَحَى بهم فى مَرْج نَوْش بمرو الشاهجان ، فنزل نصر بباب مَرْوِ الرُّوذ إزاء الكِرْمانى ، وتَدَفَّق عليه المضرية ، فَهادنَ الْكِرْمَانِىَّ ، ولم يُحَاربه . ولكن عَوْدةَ الحارثِ بن سُرَيْجٍ التميمى المرجئى إلى مرو الشاهجان سنة سبع وعشرين ومائة فَجَّرت الأزمة من جديد[٣٧٠] ، وكان الكِرْمانى يُضْمِرُ الغَدْر بِنَصر ، وإنْ أظهرَ أنه صالحه ، فَتعاقد مع الحارث بن سريج على مقاتلة نصر إنْ لم يَعْمَلْ بالكتاب والسُّنَّةِ ، ولم يَسْتَعْمِلْ أهلَ الخيرْ والفَضْل[٣٧١] ، وضَاعَفَ من تَفَجُّر الموقف أنَّ مروان بن محمد غَلَبَ على الخلافة ، وَوَلَّى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى على العراق ، فكتب لِنَصْر بعهده على خراسان ، فبايع لمروان ، فثار الحارث على نَصْرٍ ، زاعماً أن يزيد ابن الوليد هو الذى أَمَّنه[٣٧٢] ، وأنه أصبح يَجْهَلُ مَصِيره ، وَيَتَخَوَّفُ على مستقبله من مروان ، فتحاربا ، وتمكَّن قادةُ نصرٍ من السيطرة على أكثر المدينة ، فَضَعُفَ الحارثُ ، فَعَاضَدَهُ الكِرْمانى ، فتزعزع نَصْرٌ ، وتقهقر إلى نيسابور ، واستبد الحارثُ والكِرْمانىُّ بالمدينة ، ثم إنَّهما تنازعا ، فَقَتَل الحارثَ الكِرْمانِىُّ ، وصلبه[٣٧٣] ، وَخَلَتِ المدينة لأهل اليمن ، فهدموا دور المضرية ، ونهبوا أموالهم ، فاستغاثوا بنصر ، واستصرخوه أن ينقذهم من شر اليمنية[٣٧٤] ، فَوَجَّه جُنْدَه وقادته إليهم ، فالتحموا باليمنية والربعية فى حَرْبٍ بطيئةٍ ثقيلةٍ ، ولكنهم لم ينجحوا فى احتلال المدينة ، فاسْتَمَدَّ نصرٌ يزيد بن عمر بن هبيرة والى العراق ، ووصف له حال خراسان ، وما سادها من الفوضى والاضطراب خلال عامين ، وبصَّرَهُ بِتَرَدِّى وضعها ، وأنه إذا استمر فى التدهور ، فإنه يُنْذِرُ بعاقبةٍ وخيمةٍ ، فلم يُمِدَّه بأحدٍ لأنه كان مشغولاً بمنازلة الخوارج ومقارعتهم[٣٧٥] ، وكتب إليه : «لا غلبة إلا بكثرة ، وليس عندى رجل»[٣٧٦] . فاستنجد نصر بمروان بن محمد ، وأخبره بظهور أبى مسلم وقوته ، وأنه يدعو إلى إبراهيم بن محمد العباسى[٣٧٧] ، فلم

(٣٦٩) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٨٧ .
(٣٧٠) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٠٩ .
(٣٧١) تاريخ الطبرى ٧ : ٣١٠ .
(٣٧٢) تاريخ الطبرى ٧ : ٢٩٣ .
(٣٧٣) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٤٢ .
(٣٧٤) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٤٣ .
(٣٧٥) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٦٩ .
(٣٧٦) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٧٠ .
(٣٧٧) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٧٠ .

ينجده[٣٧٨] ، ويقال : بل كتب إلى ابن هبيرة «يأمره أن ينتخب من جنوده اثنى عشر ألف رجل ، مع فَرْضٍ يَفْرِضُه بالعراق من عرب الكوفة والبصرة ، ويُوَلِّىَ عليهم رجلاً حازماً ، يَرْضَى عَقْلَه وإقدامَهُ ، ويُوَجِّه بهم إلى نصربن سيار . فكتب يزيد بن عمر بن هبيرة إلى مروان : أن من معه من الجنود لا يَفُونَ باثنى عشر ألفاً ، ويُعْلِمُهُ أنَّ فَرْضَ الشام أفضلُ من فَرْضِ العراق ، لأن عرب العراق ليست لهم نصيحة للخلفاء من بنى أمية ، وفى قلوبهم إِحَن»[٣٧٩] .

فعجزَ نَصْرٌ عن استرداد مَرْو الشاهجان ، وجعل يهاجم شيعة بنى العباس ، ويتهمهم بأنهم لا يَبْتَغُون سوى إبادة العرب ، ويُنَفِّر الربعية منهم ، ويسألهم أن ينفصلوا عن اليمنية[٣٨٠] . فلم تَكْتَرِثْ ربيعةُ بدعايته ، ومضت فى مناصرتها لليمنية ، وأخذ الكِرْمانى يَتَرَدَّدُ على معسكر أبى مسلم ، فخشى نصرٌ أن ينحاز الكِرْمانى بمن معه من اليمنية والربعية إلى أبى مسلم ، فتكون نهايته ، فَوَادَعَ الكِرْمانى ، لِيُفَرِّقَ بينه وبين أبى مسلم ، وبدآ يتفاوضان ، فَدَسَّ نَصْرٌ إلى الكرمانى من قَتَله[٣٨١] ، فَتَوَتَّر الموقفُ وتَأَزَّم .

ولما رأى العربُ بخراسان أن أبا مسلم هو الذى استفاد من انقسامهم واحترابهم تعاهدت عامة قبائلهم على المسالمة ، ليشتغلوا بمجاهدة أبى مسلم[٣٨٢] ، وتَحَلَّلَتْ ربيعة من محالفتها للأزد ، ومالت إلى نصر ومضر ، وتَوَسَّطَ رئيسها يحيى بن نعيم البكرى بين شَيْبان بن عبد العزيز الحرورى وبين نصر ، وأفلح فى وساطته ، فقد توادعا[٣٨٣] ، وهادَن علىٌّ بن جديعٍ الكِرْمانى نصراً ، فَحَرَّضَ أبو مسلم ابنَ الكرمانى على نَصْرٍ ، وعَيَّره بسكوتِهِ عن المطالبة بدم أبيه منه ، فَرَجَع إلى مقاتلة نصر[٣٨٤] ، فتزلزلت قوته ، وفَرَّ إلى نيسابور سنة ثلاثين ومائة ، فخلصت مرو الشاهجان لأبى مسلم !

وظاهر أن العصبية القبلية اسْتَشْرَتْ فى أكثر الأمصار المهمة بعد اغتيال الوليد بن يزيد ، فَنَخرتها وفَتَّتَتْها ، وذهبتْ بوحدة العرب بها ، وَيَدَّدَتْ طاقتهم ، فضعفت الدولة الأموية ، وأصبحت على شَفَا الانهيار .

وآخر النتائج وأخطرها أن أَحْزاب المُعَارضة استغلت كل الأوضاع التى نشأت عن اغتيال الوليد

---

(٣٧٨) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٦٩ .

(٣٧٩) الأخبار الطوال ص : ٣٦٠ .

(٣٨٠) الأخبار الطوال ص : ٣٦١ ، والعقد الفريد ٤ : ٤٧٩ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٣٦٧ .

(٣٨١) الأخبار الطوال ص : ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٣٧١ ، وجمهرة أنساب العرب ص : ٣٨١ .

(٣٨٢) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٦٣ .

(٣٨٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٧٢ ، وانظر تاريخ الطبرى ٧ : ٣٦٣ .

(٣٨٤) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٦٤ .

ابن يزيد استغلالاً واسعا وسعت سعياً حثيثاً للإطاحة بالدولة الأموية ، أما الشيعة فثاروا بالكوفة ، إذ خرج بها عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب سنة سبع وعشرين ومائة . وكان سبب خروجه أن قدم الكوفة زائراً لعبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، يلتمس صلته ، فأكرمه وأكرم أخويه الحسن ويزيد ، فلما زَحَفَ مروان بن محمد إلى دمشق ، واستولى عليها ، فَرَّ منها إسماعيل بن عبد الله القسرى ، وكان فى جيش إبراهيم بن الوليد مع عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك ، فأتى الكوفة ، ونَقَل إلى اليمنية من قومه خبر انهزام إبراهيم بن الوليد ، واحتلال مروان بن محمد لدمشق ، فانتشر الخبر ، واشْرأبَّت الفتنة ، ووقعت العصبية بين الناس ، وَوَهَن عبد الله بن عمر ، فاجترأت الشيعة عليه ، وطمعوا فيه ، فقال أهل الكوفة لعبد الله بن معاوية أُدْعُ إلى نفسك ، فبنو هاشم أولى بالأمر من بنى مروان . وكان عبد الله بن عمر بالحيرة فدعا عبد الله بن معاوية لنفسه سراً ، فبايعه الكوفيون فيهم ابن ضَمْرَةَ الخزاعى ، وعمر بن الغضبان بن القَبَعثرىّ ، وبايعه منصور بن جمهور الكلبى ، وإسماعيل بن عبد الله القسرى ، ومن كان معه من أهل الشام بالكوفة له أَهْلٌ وأصلٌ ، فأقام بالكوفة أياماً يبايعه الناس ، وأَتَتْهُ البيعة من المدائن ، والتف حوله الزَّيْدِيَّةُ ، فخرج يريد عبد الله بن عمر بالحيرة فَدَسَّ ابنُ عمر إلى ابن ضَمْرَةَ الخزاعى فأرضاه ، وأرسل إليه : إذا نحن التقينا بالناس انهزمت بهم ، فلما التقوا انهزم ابن ضمرة ، وانهزم الناس فلم يبق مع عبد الله بن معاوية أحد ، فرجع إلى الكوفة ، واعتصم بها ، فأحاط به جُنْدُ عبد الله بن عمر من أهل الشام ، قاتلوه ، فأخذ الأمان لنفسه ، ورحل ومن معه من شيعته ومن اتبعه إلى المدائن ، فبايعه أهلها(٣٨٥) . وأتاه قومٌ من أهل الكوفة ، فسار إلى الجبال ، فَغَلَبَ عليها ، وعلى حُلوان وقُومى وأصْبهان والرّى ، وخرج إليه عبيد أهل الكوفة . فلما غلب على تلك البلاد ، أقام بأصبهان ، فَتَمَرَّد بها محارب بن موسى ، مَوْلَى بنى يشكر ، وكان عظيم القَدْرِ بفارس ، فاستولى على اصطخر ، وطَرَدَ عاملها ، واستقل بها ، ثم سار إلى أصبهان ، فَتَحوَّل عَبدُ الله بن معاوية إلى اصطخر ، واستعمل أَخَوَيْه الحسن ويزيد على الجبال وفارس ، فأتاه الناسُ بنو هاشم وغيرهم ، وجَبَى المال ، وبَعثَ العُمَّال وكان معه منصور بن جمهور الكلبى ، وسليمان بن هشام بن عبد الملك ، وشيبان بن عبد العزيز الحرورى . فلما قدم يزيد بن عمر ابن هبيرة الفزارى والياً على العراق لمروان بم محمد ، أرسل نباتة بن حنظلة الكلابى ، فحارب عبد الله بن معاوية بالأهواز ، وهزمه وهزم من معه من الخوارج ، ولكنه لم يفلح فى نَفْيِه عنها ، فبقى عبد الله بن معاوية بها حتى أرسل إليه ابنُ هبيرة عامر بن ضبارة المُرِىَّ مع داود بن يزيد بن عمر بن هبيرة ، فأمر ابن معاوية شيعته فكسروا قنطرة الكوفة ، فَوَجَّه ابنُ هبيرة إليه معن بن زائدة الشيبانى

(٣٨٥) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٦٧ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٣٠٢ ، والكامل فى التاريخ ٥ : ٣٢٤ .

من وجه آخر ، فقاتل هو وابن ضبارة شيعة ابن معاوية وهزموه ، فرحل إلى سجستان ، ثم أتى خراسان(٣٨٦) ، فلم يزل بها حتى ظهر أبومسلم سنة تسع وعشرين ومائة فحبسَ عبدَ الله وأخَوَيْه ثم قتَله ، وخلَّى عن أَخَوَيْه سنةَ ثلاثين ومائة(٣٨٧) .

وثار الخوارج من الصُّفْرية والإباضية بالعراق واليمن والمغرب ، واحتلوا المدينة ومكة ، واستبسلوا فى القتال للقضاء على الخلافة الأموية ، ففى سنة سبع وعشرين ومائة وَثَب سعيد بن بهدل الشيبانى ، والضحاك بن قيس الشيبانى بكَفَرتُوثَا من أعمال الجزيرة ، ثم مضى سعيد بن بهدل نحو العراق لما بلغه من تشتت الأمر بها ، واختلاف أهل الشام ، وقتال بعضهم بعضاً مع عبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، والنضر بن سعيد الحرشى ، فمات سعيد فى طريقه إلى العراق من طاعون أصابه . وقام بأمر الصُّفْرية الضحاك بن قيس الشيبانى ، فاجتمع إليه نحو من ألف ، ثم تَوَجَّه إلى الكوفة ، ومر بأرض الموصل ، فاتبعه منها ومن أهل الجزيرة نحو من ثلاثة آلاف ، فلما اقترب الضحاك من النضر بن سعيد الحرشى اصطلح الحرشى وابن عمر ، وتعاقدا على مواجهة الضحاك ، فخندقا على الكوفة ، ومعهما يومئذ ثلاثون ألفاً من أهل الشام لهم قُوَّةٌ وُعُدَّةٌ ، ومعهم قائد من أهل قنسرين يقال له : عَبَّاد ابن الغُزَيِّل فى ألف فارس ، كان مروان أَمَدَّ به الحرشى ، فبرزوا للضحاك فهزمهم أقبح هزيمة ، فمال الحرشى وابن عمر إلى واسط ، فأسرع إليهم الضحاك فى الشراة ، فحاربوه شهوراً ، ونكأ كلٌ منهم بصاحبه ، فقال منصور بن جمهور الكلبى لابن عمر : مارأيتُ فى الناس مثل هؤلاء الشراة قط ! فَلِمَ تُحارِبُهم وتَشْغَلُهم عن مروان ! أَعْطِهِم الرِّضا ، واجعلهم بينك وبين مروان ، فإنك إن أعطيتهم الرضا خَلَّوا عنا ومضوا إلى مروان ، فكان حَدُّهم وبَأْسُهم عليه ، وأقمت أنت مستريحاً بموضعك هذا ، فإنْ ظفروا به ، كان ماأردت ، وكنت عندهم أميناً . وإنْ ظفر بهم ، وأردت خِلافَهُ وقِتَالَه ، قَاتَلتَه جاماً مستريحاً ، مع أنَّ أمره وأمرهم سيطول ، ويُوسِعُونه شَراً ! فأبَى ابنُ عمر ذلك . وفَضَّل الانتظار ، فانفصل عنه منصور ، وانضم للخوارج وبايعهم ، ثم لحق به ابن عمر بعد حين ، وبايعهم أيضاً(٣٨٨) !

وفارق الضَّحاكُ ابنَ عمر ، وكاتبه أهل الموصل ، ودعوه أن يقدم عليهم ، فَيمكِّنُوهُ من بلدهم ، فسار فى جنوده بعد عشرين شهراً حتى انتهى إلى الموصل ، فرحب به أهلها ، وفتحوها له ، فدخلها واستولى عليها وعلى كُورِها وبلغ مروان خبرهُ ، وهو مُطْبِقٌ على حمص ، مُشْتَغِلٌ بقتالِ أهلها ، فكتب

---

(٣٨٦) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٨٦ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٣٧١ .

(٣٨٧) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٩١ .

(٣٨٨) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٦٠ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٣٢١ .

إلى ابنه عبد الله ، وهو خليفته بالجزيرة يأمره أن يسير فيمن معه من روابط إلى نَصِيبين ، ليشغل الضحاك عن تَوَسُّط الموصل ، فشخص إليها فى سبعة آلاف ، فسار إليه الضحاك من الموصل فى عشرين ومائة ألف فارس ! فقاتله عبد الله بن مروان ، فلم يقدر عليه فحاصر الضحاك نصيبين ، وَوَجَّه فرقة من جنده إلى الرَّقَّة ، فقاتلهم من بها من خيل مروان ، وَوَجَّه إليهم مروان حين بلغه نزولهم الرقة خيلاً من روابطه . فلما دَنَت الخيل من أصحاب الضحاك انقشعوا منصرفين إليه فَقَطَعهم مروان حين قدم الرقة ، ومضى صامداً إلى الضحاك وجموعه حتى التقيا بالفَرِّ من أرض كَفَرْ تُوثا ، وتَرَجَّل الضحاك فى ستة آلاف ، فأَحْدَقَتْ بهم خيول مروان ، وألح عليهم فرسانه ، فقتلوا الضحاك سنة ثمان وعشرين ومائة (٣٨٩) .

وبعد هلاك الضحاك بايع الصُّفْرِيَّةُ الخَيْبَرِيَّ ، ومعه سليمان بن هشام بن عبد الملك ، فحمل الخيبرى على مروان بن محمد ، وهو فى القلب ، فهرب مروان من خيمته ، ودخلها الخيبرى ، فثار به جند مروان من ميسرته وميمنته وكانوا لم يهزموا ، فقتلوه ، فعاد مروان إلى جنده ، وبات فى معسكرهم (٣٩٠) .

وولى أمر الخوارج شيبان بن سلمة الأكبر الشيبانى ، فقاتل أهل الشام ، ثم رجع بعضهم عن بعض ، فافترق الخوارج فأتت فرقة منهم الجزيرة ، وأتت فرقة العراق ، وأقام الباقون مع شيبان ، فقاتلهم مروان ، فانتصفوا ، ثم تحاجزوا ، فارتحل شيبان إلى الزَّابِيَين بين واسط وبغداد ، ومعه سليمان ابن هشام ، فخندق شيبان وأصحابه ، وأتاهم مروان فخندق ، وقاتلهم عشرة أشهر ، وهو لايقدر عليهم . وكان يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى قد استولى على واسط ، لما وَجَّهه مروان والياً على العراق ، فاستمده مروان ، فأمدَّه بِبَعْثَيْن من عشرة آلاف فارس ، عليهم عامرُ بن ضُبارة المرى ، فقاتل الجَوْنَ بن كلاب الشيبانى ، وكان نازلاً بقلعة السِّنِّ من الجزيرة ، لِيُزَوِّدَ الخوارج بالطعام والعلف ، فَقَتَلَهُ مصعبُ بن الصَّصَح ، وقدم فَلُّه على شيبان . فقوى مروان ، وقطع ابن ضبارة عن شيبان المادة من العراق ، وقطع عنهم مروان مادة الشام ، فَحُوصِرَ الخوارج ، وعزَّ عليهم القوت ، وخاف شيبان أن يأتيه ابن ضبارة من خلفه ، ثم حَضَّ مروان جنده ، فهاجموا شيبان ، فهزمهم (٣٩١) .

---

(٣٨٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ، ص : ٣٦٦ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٣٤٥ .

(٣٩٠) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٧٤ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٦٧ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٣٤٧ .

(٣٩١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٦٨ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٣٥١ .

ثم ارتحل شيبان فيمن بقى معه ، فأتى أذربيجان ومعه سليمان بن هشام ، وانصرف مروان عن الموصل ، وكتب إلى ابن هبيرة يعلمه خبر الخوارج ، وأن طريقهم عليه ، ويأمره بطلبهم وتوجيه الجنود إليهم وطَوَّقهم ابن هبيرة ومروان فأتى شيبان العراق منصرفا من أذربيجان فنزل المدائن ، فقال له المعمر ابن شعبة : حتى متى هذا الرَّوغَان ؟ فقال شيبان : إن فى مطاولتهم غيظاً لهم ، ووَهناً عليهم ، وخالف المعمر فى بعض الأحكام . ففارقه المعمر ، وصار معه عامة أصحاب شيبان ، فأتى شيبان الأهواز ، ومعه سليمان بن هشام ، ومنصور بن جمهور الكلبى ، ثم أتى فارس ، ومنصور معه ، فكانا مع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، ثم ندم المعمر بن شعبة على فراق شيبان ، ولقيه ابنُ ضبارة فقتله[٣٩٢] . وتَفَرَّق أصحابُ عبد الله بن معاوية عنه فمضى إلى هراة ، ومضى سليمان بن هشام إلى عَمَّان ، ومنصور بن جمهور إلى السند ، وتَوَجَّه شيبان إلى جزيرة ابن كاوان بين عُمَان والبحرين ، فأقام بها حتى قدم عليه المسيح بن الحوارى من قبل بنى العباس ، فقاتله فانهزم أصحاب المسيح[٣٩٣] ، وأتى شيبان عُمَان ، فقتله الجُلَنْدَى بن مسعود الأزدى سنة أربع وثلاثين ومائة[٣٩٤] .

وكان عبيدة بن سَوَّار قام بأمر الخوارج فى الكوفة بعد مصرع الضحاك بن قيس الشيبانى وبلغه مسير يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى إلى العراق . فبعث إليه عبيدة طائفة من جنده ، فلقيهم ابن هبيرة بالأنبار ، وهزمهم ، فدخلت فُلُولُم الكوفة ، فتعقَّبهم ابنُ هبيرة ، وقتل عدداً من رؤوسهم ، ونزل النُّخَيْلَة ، ثم زحف إلى عبيدة ، فَوَجَّه عبيدة إليه مطاعن بن مطيع ، فقتله عطيةُ التَّغْلَبى وقتل ابنه مجاهداً ، فَوَلِىَ عسكرَ مُطاعنٍ شيبانُ بن عبد العزيز الصغير اليشكرى ، فقاتل عطية شهراً ، وخَفَّ عبيدة بن سوار إلى شيبان ، فلم يتصل به وَحَفَر ابن هبيرة خندقاً بين شيبان وعبيدة ، فاحتلاه ، وقاومها ابن هبيرة ، وجيش أهل الشام مقاومة عنيفة ، وقتلوا عبيدة ، فتقهقر الخوارج نحو الكوفة ، ولحق شيبان الأصغر بالمدائن ثم خرج إلى فارس[٣٩٥] . فأرسل ابن هبيرة إليه عامر بن ضبارة المرى ، فَواقعه بأقصى فارس ، ثم صار شيبان إلى جِيرَفت من كِرْمان ، فَفُضَّ عسكرُه فهرب الى سجِسْتَان ثم صار منها إلى خراسان ، فكتب إليه سعيد بن جديع الكِرْمانى وكان خالَفَ نصر بن سيار ، وخلعَ

---

(٣٩٢) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٧٩ ، وأنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٦٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٣٥٢ .

(٣٩٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ، ص : ٣٧٠ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٣٥٣ .

(٣٩٤) تاريخ الطبرى ٧ : ٤٦٢ .

(٣٩٥) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٧١ ، وانظر تاريخ الطبرى ٧ : ٣٥٢ .

مروان : إنك قدمت ونحن خالعون لمروان ، فَصِر إلىَّ لنجتمع على محاربة أوليائه أولياء الشيطان ! فصار إليه فكانا يحاربان نصر بن سيار . وأظهر أبومسلم المَيْل إلى ابن الكرمانى ، وبعث إلى نصر بن سيار ، وإلى ابن الكِرْمانى وشيبان : إنى رجل أدعو إلى الرضا من آل محمد ، ولست أعرض لكم ، ولا أُعِينُ منكم أحداً على صاحبه ، وقوى أمر أبى مسلم ، فَوَجَّه إلى ابن الكِرْمانى وقد كان أَنِسَه حتى اغترَّبه من أتاه به ، فحبسه وكان أبومسلم قد وَادَع شيبان مُدَّة ثم أرسل إليه جُنْداً فواقعوه فكشفوه ، فصار إلى أَبِيوَرْد ، وأهلُها أَوَّلُ مَنْ سَوَّد فكتب إليه أبومسلم أن بايع للرضا من آل محمد حتى لاأعرض لك ، فبعث إليه : بل بَايِعْنى أنت ، فكتب أبومسلم إلى بَسَّام بن إبراهيم ، مولى بنى لَيْث من كنانة ، وهو بأبِيورد يأمره بمناهضته ، فقتل شيبان وأصحابَه إلاَّ عدةً يسيرةً تفرقوا فى البلاد ، ويقال : بل صاروا إلى نَصْرٍ قبلَ هَرَبِهِ ، ثم تَقَطَّعُوا(٣٩٦) .

واعتصمَ عمر بن سالم الشيبانى الخارجى بمسكن السواد ، وخرج إلى العامل بقُطْرُّبل ، وهو الحجاج بن عمارة ، فهرب فاتبعه فأخذه فقتله رجل من أصحاب عمر يقال له : سِنْطير ، ورجع عمر إلى مسكن ، فأقام شهرين فأتاه أهل الأنبار يشكون إليه عَلِىَّ بن عمر الأسدى ، وكان ابن هبيرة استعمله عليها فسار إليه ، فلما عَايَنَهُ العامل رمى بنفسه وفرسه فى الفرات فهرب . ثم أتى عمر بن سالم كَرْخَ بَادُوريّا ، وعليها رجل يقال له : مروان ، فقاتله فانهزم مروان وتفرق أصحابه وقد قتل عمر منهم عشرين ، وأصاب بالكَرْخ متاعاً فَقَسَمه . وأقام بالكرخ فى مائة ، فبعث إليه ابنُ هبيرة أبابكر الكلاعى فى ألف فقاتله عمر ، فقطعت يده ، فلم يزل ينزف حتى مات ، وقتل من أصحابه ثلاثون وانهزم الآخرون وأخَذَّ رأس عمر ، وحمل إلى ابن هبيرة ، فأنفذه إلى مروان بن محمد(٣٩٧) .

وانتفض الإباضية بحضرموت وعمان ، واستولوا على اليمن سنة تسع وعشرين ومائة ، ثم اندفعوا إلى مكة والمدينة فاحتلوهما إلى حين ، فقد كان عبد الله بن يحيى الكندى بحضرموت ، وكان مجتهدا عابداً ، وكان أعور ، ورأيُه رأىُ الإباضية ، يقول : قَوْمُنا كُفَّارُ نعمة ، وليسوا بكُفَّار بالله ، نقاتلهم على بَغْيهم ولا نَغْنَم لهم مالاً ، فرأى باليمن جوراً وعسفاً شديداً ، وسيرة فى الناس قبيحة ، فقال لأصحابه : لايحل لنا المقام على مانرى ولايَسَعُنا احتمَاله والصبر عليه فكتب إلى أبى عبيدة ، مسلم كُودِين ، مولى بنى تميم ، وإلى غيره من إباضية البصرة يشاورهم فى الخروج ، فكتبوا إليه إن استطعت ألا تقيم يوماً واحداً ، فافْعَل ، فإن المبادرة بالعمل الصالح أفضل ، وإنك لاتدرى متى يَبْلُغ أجلك ، ولله خيرة من عباده يَبْتَعِثُهم إذا شاء لنصر دينه ، ويَخُصُّهم بالشهادة إكراماً لهم بها . وشخص إليه

(٣٩٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٧٢ ، وانظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٨٦ .
(٣٩٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٧٣ .

أبوحمزة المختار بن عوف بن مازن بن مجاسر ، أحد بنى سليمة الأزدى[٣٩٨] ، وبَلْجُ بن عقبة الأزدى ، وكان قبل ذلك فى الشرط بالبصرة ، فى رجال من الإباضية ، وهم أصحاب عبد الله بن إباض التميمى ، فقدموا عليه حضرموت ، فحثوه على الخروج ، وأتوه بكتب أصحابه ، فقال : إذا خرجتم فلا تَغْلُوا ولا تغدروا ، واقتدوا بسلفكم الصالحين ، وسيروا سيرهم ، فقد علمتم أنه إنما أخرجهم على السلطان العَيْبُ لأعمالهم ، فدعا أصحابه فبايعوه ، فأتى دار الإمارة بحضرموت ، وعلى حضرموت إبراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندى ، فأخذوه فحبسوه يوماً ، ثم أطلقوه فأتى صنعاء ، وأقام عبد الله بن يحيى بحضر موت ، وكثر جمعه ، وسموه طالب الحق ، ويقال : بل هو سَمَّى نفسه ، وكتب إلى مَنْ بصنعاء من أصحابه أنى قادمٌ عليكم ، ثم استخلف على حضر موت عبدالله بن سعيد الحضرمى ، وتَوَجَّه إلى صنعاء سنة تسع وعشرين ومائة فى ألفين ، وبلغ القاسم بن عمر أخا يوسف بن عمر الثقفى ، وهو عامل مروان على صنعاء مسيرُ عبد الله بن يحيى ، فاستخلف على صنعاء الضحاك بن زمل السكسكى وخَرَجَ يريد ابن يحيى والإباضية ، فلقوه بقرية لحْج وكان القاسم فى عددٍ كبير ، وعدةٍ ظاهرة وسلاح شاك ، فقتل من أصحاب القاسم بشر كثير ، ومضى هو إلى صنعاء ، ثم خرج منها ، واستخلف عليها ابن زمل أيضا ، وأقبل عبد الله بن يحيى فنزل على ميلين من عسكر القاسم ، فوجه إليه القاسم يزيد ابن الفَيْض الثقفى فى ثلاثة ألاف من أهل الشام واليمن ، فكانت بينهم مُشَاوَلة ثم تحاجزوا ثم قاتلهم الصلت بن يوسف . فَقُتِلَ فى المعركة ، ثم قاتلهم يزيد بن الفيض ، ثم انهزم أهل صنعاء وأراد أبرهة بن شرحبيل بن الصباح اتِّباعَهم ، فمنعه عبدالله بن يحيى ، ولحق يزيد بن الفيض بالقاسم فأخبره بقتل الصلت[٣٩٩] .

ودَخَل عبدالله بن يحيى صنعاء ، فأخذ الضحاك بن زمل ، وإبراهيم بن جبلة ابن مخرمة الكندى ، فحبسهما ، وجمع الخزائن والأموال فأحرزها ثم أطلق الضحاك وإبراهيم ، وقال : إنما حبستكما مخافة عليكما من العامة ، وليس عليكما مكروه فأقِيما أو اشخصا ، فخرجا واستولى عبدالله بن يحيى على اليمن[٤٠٠] ، فأقام بصنعاء أشهراً حسن السيرة ، لين الجانب ، كافاً عن الناس ، فكثر جَمْعُه ، وأتته الشُّراة من كُلِّ وَجْهٍ ، فلما كان وَقْتُ الحج وَجَّه أبا حمزة المختار بن عوف السلمى ،

---

(٣٩٨) انظر بعض أخباره فى تاريخ الطبرى ٧ : ٣٤٨ ، والأغانى ٢٣ : ٢٢٧ .

(٣٩٩) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٧٣ ، والأغانى ٢٣ : ٢٢٤ ، وانظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٨٢ .

(٤٠٠) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٧٤ ، والأغانى ٢٣ : ٢٢٦ ، وانظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٨٣ .

وَبْلج بن عقبة الأزدى ، وأبرهة بن شرحبيل بن الصباح الحميرى إلى مكة فى تسعمائة ، ويقال فى ألف ومائة وأمره أن يقيم بمكة إذا صَدَر الناس ، وأن يوجه بَلْجاً إلى الشام فأقبل المختار إلى مكة ، فقدمها يوم التَّرْوية وعليها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك ، فكره قتالهم ، وقال لعبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب ، إنى لآمن أن تفسد هذه العصابة على الناس أمرهم ، فلايتم للناس فى عامهم هذا حج ، فلولقيتهم فسألتهم أن يكفوا حتى ينقضى الموسم ، وأخرج لهم عن مكة ، فأتاهم عبد الله بن حسن فى رَهْط معه ، فقال لأبى حمزة : أيها الرجل ، إنك أتيت بلداً حراماً ، فى يوم عظيمةٍ حُرْمَتُه ، فَأُمَّ أصحابك ، ويُؤُمُّ الوالى أصحابه ، فإذا أفاض الناس وقَضَوا مناسِكَهم ، رأيت رأيك فى الحرب ، وخرج عنك ، فأجابه إلى ذلك ، فصلى عبد الواحد ، ووقف بالجماعة وصلى أبوحمزة بأصحابه ، ووقف بهم ، ولم يَعْرِضْ لأحدٍ حتى صدر الناس وخرج عبد الواحد بن سليمان إلى المدينة . ثم وجه أبوحمزة رَجُلاً من الإباضية إلى الطائف ، فسيطر عليها ، وأمنَّ أهلها[٤٠١] .

وكتب عبد الواحد بن سليمان إلى مروان بن محمد يعتذر ، عن خروجه من مكة ، ويُخْبِرُ أن الناس خذلوه ، ويقال : بل خرج إلى مروان فَشَافَهه بهذا . فكتب مروان إلى عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز ، وهو عامله على المدينة ، يأمره أن يُوَجِّه جيشاً إلى مكة ، فوجه ثمانية آلاف من قريش والأنصار ، وغيرهم من التجار ، واستعمل عليهم عبد العزيز بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان ، فخرجوا فى المُصَبَّغات ومعم المُلاءُ لايكترثون بالخوارج ولايَرَوْنَ إلاَّ أنَّهم فى أكفهم !

وبلغ أبا حمزة إقبال أهل المدينة إليه ، فاستخلف على مكة أبرهة بن شرحبيل بن الصباح الكندى ، وسار إليهم ، وعلى مقدمته بَلْجُ بن عقبة الأزدى ، وصار بإزائهم بقديد ، فحث جنده على قتال أهل المدينة ، وسألهم أن يدعوه يسير إلى مروان ، فرفضوا فلم يقاتلهم أبوحمزة حتى ناوشوا جنده ، فانْقَضَّ عليهم ، ومزَّقهم ، وقَتَل منهم أربعة آلاف من الأنصار وقريش ، وسفك دماء الأسرى من قريش ، وخَلَّى عن اليمنية ! ومضى بَلْجٌ إلى المدينة ، فدخل أهلها فى طاعته ، وبايعوا ، فكف عنهم ، ورجع أبو حمزة إلى مكة[٤٠٢] .

وعلم مروان بن محمد بانكسار أهل المدينة فى موقعة قُدَيد ، فَوَجَّه عبد الملك بن محمد بن عطية

---

(٤٠١) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٧٥ ، والأغانى ٢٣ : ٢٢٧ ، وانظر تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٨٣ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٣٣٩ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٣٧٥ .

(٤٠٢) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٧٧ ، والأغانى ٢٣ : ٢٣١ ، وانظر تاريخ خليفة ابن خياط ٢ : ٥٩٢ ، وتاريخ اليعقوبى ٢ : ٣٤٠ ، وتاريخ الطبرى ٧ : ٣٩٤ .

القيسى فى أربعة ألاف ، فيهم فرسان أهل الشام منهم رومى بن ماعز المرى ، ومنهم من أهل الجزيرة ألف ، اشترطوا على مروان أن يقفلوا إلى بلدهم إذا قتلوا الأعور ، عبد الله بن يحيى ! وسار عبد الملك وجنده مسرعين ، وبعث أبو حمزة إليهم بَلْج بن عقبة الأزدى من المدينة فى سبّاثة ، فلقى عبد الملك بوادى القرى سنة ثلاثين ومائة ، فتواقفوا ودعاهم بلج إلى السنة والعمل بالكتاب ، فشتمه أهل الشام ، فحمل عليهم ، فانكشفوا ، وصبر عبد الملك فى عُصَيْبَةٍ واستنهض همم جنده ، فكروا ، وصبروا وقتلوا بَلْجاً ، وأكثر أصحابه ، ونَصَبَ عبد الملك رأس بلج على رمح ، وخرج أبو حمزة عن المدينة إلى مكة ، واستخلف عليها رجلاً يقال له : المفضل ، فوثب به العبيد وأهل السوق ، فقتلوه وفتكوا بعامة أصحابه وهرب من نجا منهم ، فلم يبق من الإباضية أحدٌ بالمدينة[٤٠٣] .

واسترد عبد الملك بن محمد بن عطية القيسى المدينة ، وأقام بها شهراً ثم تَحرَّك إلى مكة ، وأبوحمزة المختار بن عوف بها ، وأتى عبد الملك الشُّراة من وَجْهَين ، وقد جعل جُنده فرقتين فَصَيَّر طائفة بالأبطح ، وصار هو والطائفة الأخرى بأسفل مكة ، فاقتتلوا ، ودَحَر الشُّراةُ أهل الشام حتى انتهوا إلى عقبة منى ، ثم تقدموا ، فقاتلوا وثَبَتُوا فَقُتِلَ أبرهةُ بن شرحبيل بن الصباح الحميرى وتَفَرَّق الخوارج ولقى أبوحمزة عبد الملك بن محمد بأسفل مكة ، فاقْتَتَلا فَقُتِلَ أبوحمزة على فم الشِّعْب ، وقُتِلَتْ مَعَه امرأته وتَنَاثر الخوارج وتَبَدَّدوا وأسَرَ أهل الشام منهم أربعمائة ، فقتلهم عبد الملك ، وصَلَب أبا حمزة وأبرهة[٤٠٤] .

ورجع فَلُّ الإباضية إلى اليمن ، فأقبل عبد الله بن يحيى الإباضى من صنعاء ، وشخص إليه عبد الملك بن محمد بن عطية القيسى ، فالْتَقَيا بِكُثْبَة ، فأكثر أهل الشام القتل فى الخوارج ،وقتل عبد الله بن يحيى ، وانهزم أصحابه ، فَقُتِلُوا فى كل وَجْهٍ ، وَلَحِقَ فَلُّهم بصنعاء[٤٠٥] ، فبعث عبد الملك ابنه يزيد بمقتل عبد الله بن يحيى إلى مروان بن محمد . وقَفَل عبد الملك إلى مكة ، فكتب إليه مروان يأمره بالمصير إلى صنعاء ، فصار إليها ، فلما شارف صنعاء هرب عامل عبد الله بن يحيى عنها إلى حضرموت ، وقدم عبد الملك صنعاء ، فَتَتَبَّع الخوارج يَقْتُلُهمُ فقتل منهم بصنعاء ثلاثمائة ، وأرسل عماله . وفَرَّقهم فى المخاليف ، ودَرَّ له الخراج ، ثم خرج عليه يحيى بن عبد الله بن عمرو بن السَّبّاق الحميرى من آل ذى الكلاع بالجَنَدَ فى جمع كثير ، فبعث إليه عبد الرحمن بن يزيد بن عطية

(٤٠٣) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٧٩ ، والأغانى ٢٣ : ٢٤٥ .

(٤٠٤) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٨٠ ، والأغانى ٢٣ : ٣٤٧ ، وأنظر تاريخ الطبرى ٧ : ٣٩٩ ، ومروج الذهب ٣ : ٢٥٧ .

(٤٠٥) انساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٨١ ، والأغانى ٢٣ : ٢٤٩ ، وأنظر تاريخ الطبرى ٧ : ٤٠٠ .

فلقيه بالجند ، فهزم يحيى وقتل عامة أصحابه ، وعاد إلى صنعاء ، ولحق يحيى بن عبد الله بَعَدَن . واجتمع اليه ألفان ، فسار إليه عبدُ الملك بن محمد فواقعه ، فقتله وقَتَل أكثر أصحابه ، وتفرق الباقون ، ورجع عبد الملك إلى صنعاء[٤٠٦] .

وخرج يحيى بن كرب الحميرى بساحل البحر ، وانضم إليه شذاذ الإباضية ، فبعث إليه عبد الملك أبا أمية الكندى ، فالتقوا بالساحل ، فقتل من الإباضية نحو مائة رجل ، وتحاجزوا عند المساء ، فمضت الإباضية إلى حضرموت ، وعليها عبد الله بن معبد الجَرْمى ، عامل عبد الله بن يحيى . فصار يحيى بن كرب معه ، ورجع أبوأمية الكندى إلى عبد الملك بن محمد ، فشخص عبد الملك إلى حضرموت ، ولقى الإباضية على أربع مراحل منها بالغلاة ، فحاصرهم وجعل يقتل من يقدر عليه منهم ، ويسلب ويأخذ الأموال ثم صالحهم سنة إحدى وثلاثين ومائة ، وأسرع إلى مكة ليقيم الحج بها بأمر مروان بن محمد ، فقتله المُراديون والهَمْدانيون ، فانتقم له منهم ابن أخيه عبد الرحمن بن يزيد ابن عطية ، خليفته على صنعاء ، ثم أرسل مروان إلى اليمن الوليد بن عروة بن عطية ، فبعث إلى يحيى ابن كرب ، وعبد الله بن معبد من حارَبهما فَقَتلهما ، ويقال : إنه واقَعهما بنفسه فقتلهما ، ولم يزل الوليد باليمن حتى استخلف أبو العباس السفاح[٤٠٧] .

وثار الإباضية بالمغرب سنة تسع وعشرين ومائة ، على رأسهم سعد بن مسعود ، فقتله وصلبه عبد الرحمن بن حبيب الفهرى عامل إفريقية ، فخرجت الإباضية عليهم عبد الجبار بن معن ، فلقيهم يزيد بن صفوان المُعَافرى فى صفر سنة تسع وعشرين ومائة ، فهزم وأقبل أبوقرة الصُّفرى من تَلْمَسين أيضاً فى صفر ، فوجه إليه ابنُ حبيب سليمانَ بن عثمان ، فقتله أبوقُرَّة وقتل ابنيه عبد الله وعثمان ، ثم انصرف راجعاً إلى تَلْمَسين[٤٠٨] .

فأنفق مروان بن محمد ثلاث سنوات من خلافته فى مجاهدة الخوارج ولم ينجح فى القضاء عليهم إلا بعد جُهْدٍ جهيدٍ ، استهلك قُوَّته وقوة ولاته وجنده فى الشام والعراق واليمن والحجاز .

وأما العباسيون فكانو أكثر حذراً من الشيعة والخوارج ، وأشدّ منهم دهاء ، فاستغلوا الظروف التى نتجت عن اغتيال الوليد أحسن استغلال ، إذ مضوا ينظمون أنفسهم ، ويحشدون أنصارهم ، وظلوا يترقبون الفرصة المواتية للثورة حتى يضمنوا الإدالة من بنى أمية ، فى سنة ست وعشرين ومائة أرسل الإمام إبراهيم بن محمد إلى خراسان أباهاشم بكير بن ماهان ، وبعث معه بالسيرة والوصية فقدم مرو

---

(٤٠٦) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية ، المجلد الثانى ص : ٣٨٢ ، والأغانى ٢٣ : ٢٥٤ .

(٤٠٧) أنساب الأشراف ، مصورة الجامعة الأردنية المجلد الثانى ص : ٣٨٣ ، والأغانى ٢٣ : ٢٥٤ .

(٤٠٨) تاريخ خليفة بن خياط ٢ : ٥٨٨ .

الشاهجان ، وجمع النُّقبَاء ، ومن بها من الدعاة ، فَنَعَى لهم الإمام محمد بن على ، ودعاهم إلى إبراهيم ، ودفع إليهم ، ودفع إليهم كتابه ، فَقَبِلُوه ودفعوا إليه ما اجتمع عندهم من نفقات الشيعة العباسية فقدم بها بكير على إبراهيم بن محمد(٤٠٩)

وفى سنة سبع وعشرين ومائة تَوجَّه سليمان بن كثير ، ولاهز بن قريظة ، وقحطبة بن شبيب إلى مكة ، فلقوا الإمام إبراهيم بها ، وأعلموه أنّ معهم عشرين ألف دينار ، ومائتى ألف دينار ومسكاً ومتاعاً كثيراً ، فأمرهم بدفع ذلك إلى عروة مولى محمد بن على ، وكانوا قدموا معهم بأبى مسلم ذلك العام(٤١٠) .

ومرض بكير بن ماهان كبير الدعاة بخراسان ، فكتب الإمام إبراهيم إلى أبى سلمة الخلال يأمره بالقيام بأمر أصحابه ، وكتب إلى أهل خراسان يخبرهم أنه أسند أمرهم إليه . وسار أبو سلمة إلى خراسان ، فَصَدَّقوه ، وقبلوا أمره ، ودفعوا إليه ما اجتمع قبلهم من نفقات الشيعة العباسية وخمس أموالهم(٤١١) .

وفى سنة ثمان وعشرين ومائة أرسل الإمام إبراهيم أبامسلم إلى خراسان ، لأنه خاف أن يغدر به سليمان بن كثير الخزاعى ، أحد كبار الدعاة بخراسان ، ولأنه أخذ يفكر فى تفجير الثورة بعد احتدام العصبية القبلية بين المضرية وبين اليمنية والربعية ، وكتب الإمام إبراهيم إلى شيوخ الدعوة أن يطيعوا أبامسلم ، وينقادوا له(٤١٢) .

وتَوَجَّه أبومسلم إلى الإمام إبراهيم سنة تسع وعشرين ومائة ، فكتب إليه أن يرجع إلى خراسان ، وكان بلغ قُومَى ، وبعث إليه : إنى قد بعثت إليك براية النصر ، فارجع من حيث ألْفاكَ كتابى ، وَوَجَّه إلىَّ قحطبة بما معك يَوافِينى به فى الموسم ، فانصرف أبو مسلم إلى خراسان ، ووَجَّه قحطبة إلى الإمام(٤١٣) .

وقدم قحطبة فبعث معه الإمام إبراهيم كتاباً إلى سليمان بن كثير ، وكان فيه أنْ أَظْهر دعوتك ، ولا تُرَبِّص ، فقد آن ذلك ، فَنَصَبوا أبا مسلم ، وقالوا : رجل من أهل البيت ! وَدَعوا إلى طاعة بنى العباس ، وارسلوا إلى من قرب منهم أو بعد ممن أجابهم ، فأمروه بإظهار أمرهم ، والدعاء

---

(٤٠٩) تاريخ الطبرى ٧ : ٥٩٤ .

(٤١٠) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٢٩ .

(٤١١) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٢٩ .

(٤١٢) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٤٤ ، ٣٥٣ ، وانظر العصر العباسى الأول ص : ٢٨ .

(٤١٣) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٥٥ .

إليهم ، ونزل أبومسلم قرية سفيدنج من قرى خزاعة . وشيبان الحرورى ، والكِرْمانى يقاتلان نصر بن سيار ، فَبَثَّ أبومسلم دعاته فى الناس ، وظهر أمره[٤١٤] ، ثم استولى على مرو الشاهجان سنة ثلاثين ومائة ، وطرد منها نصر بن سيار ، وأعلن الثورة العباسية[٤١٥] ، وأدَّى اغتيال الوليد بن يزيد ، ومانشأ عنه من نتائج إلى سقوط الدولة الأموية !

---

(٤١٤) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٥٥ .

(٤١٥) تاريخ الطبرى ٧ : ٣٧٩ .